النور المبين

في تفسير سورة النور

زمزم منصور القطان

النور المبين

في تفسير سورة النور

زمزم منصور القطان

موقع الأوحد
Awhad.com
الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

حقوق الطبع محفوظة

دولة الكويت
الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

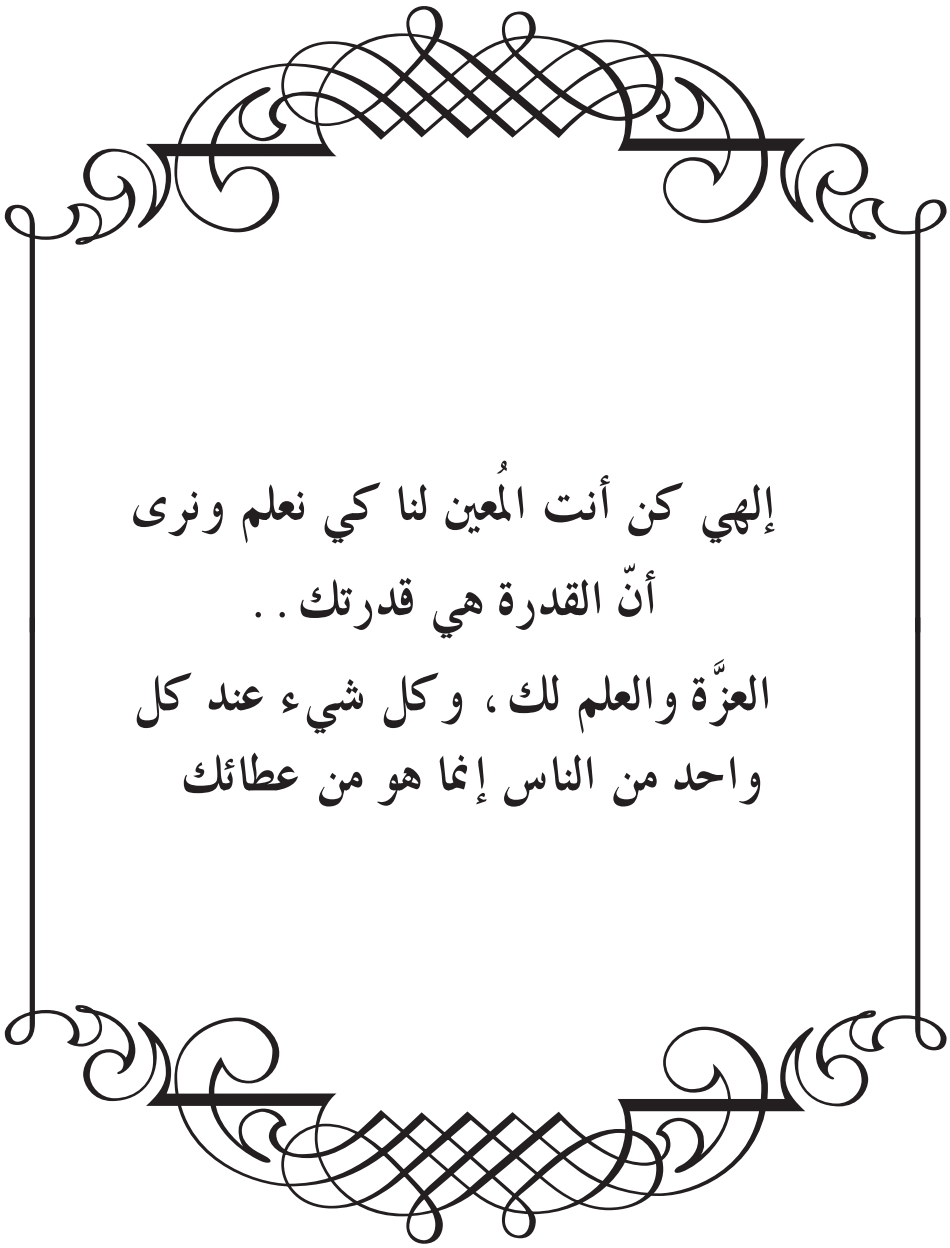

إلهي كن أنت المُعين لنا كي نعلم ونرى
أنّ القدرة هي قدرتك . .
العزَّة والعلم لك ، وكل شيء عند كل
واحد من الناس إنما هو من عطائك

سُورَةُ النُّور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
(١) ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم
بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ
عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ
مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى
ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ
فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ (٤) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ (٥) وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ
فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٦)
وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٧) وَيَدْرَؤُا۟
عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ
(٨) وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٩)

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ
كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا
جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا

فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾
۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى
مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ
وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ
ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ
وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟

وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾
فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن
قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ
فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾
قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ
ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ
ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ
ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟

إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾
وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن
يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ
إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ
وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ
ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ
مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ
لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ
وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى

بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا
بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن
ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ
ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ
مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ
حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ
لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ
ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ
وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ
عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي
سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ

خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾
يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن
يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ
وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ
يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ
أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ

٥٢ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل
لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٥٣
قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ
إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ٥٤ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى
شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٥٥
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ٥٦ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ٥٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ
ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ
وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ

وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ
بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨
وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ
نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ
حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ
مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ
أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ
أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ
أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ
أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ
جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ

تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ
عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ
أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين صلى الله على البشير النذير والسراج المنير محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وآله الطيبين الطاهرين وشيعتهم الأنجبين ولعنة الله على أعدائهم ومنكري فضائلهم من أول الدنيا إلى أبد الآبدين.

قال الله الحكيم في محكم كتابه المجيد ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[1] من منطلق الآية السابقة نستفيد وإياكم بأن الفساد مستشري منذ القدم إلى ظهور النور المحمدي، ولم لن يترك القرآن شاردة ولا واردة إلاّ وقد عالجها فما بالكم بعفة المرأة وصيانتها من الفساد، وخير دليل هي سورة النور التي حثنا عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في قوله «**علموهن سورة النور فإن فيها المواعظ**»، وقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**حصّنوا أموالكم وفروجكم بتلاوة سورة النور وحصّنوا بها نساءكم**» لما تحتويه من قضايا في غاية الأهمية تتعلق بالعفاف والطهارة ونحن في أمس الحاجة إليها خاصة في هذا الوقت الحاضر مع التقدم والتمدن، وتوجه الناس في تبسيط العلاقات الجنسية والاستخفاف والاستهانة بأصول العفاف والتقوى في الشؤون الجنسية تحت مُسمى (الحرية) فقد تعرضت الآيات إلى أساليب دقيقة وواضحة لصيانة العفاف والطهارة من خلال فرض

(١) سورة الروم: آية ٤١.

الحجـاب لحفظ المرأة المسلمة من الأعين الخائنة والترغيب بالزواج اليسـير التكاليـف، كمـا تطرقت الآيـات إلى آداب المعاملـة ومبادئ تربية الأولاد بالنسبة للآباء والأمهات مما يحفظ الأسرة المسلمة من المفاسد.

بحـولٍ مـن الله سبحانه وتعالى سـوف نتناول شرحٍ لسـورة النورٍ ونستعرض الأمور التي تهم المجتمع وتجعل منه مجتمعاً قوياً متماسكاً متـى ما تحصّن بهـذه التعاليـم الإسلامية، راجية مـن المولى العلي القدير قبول هذا الجهد المتواضع.

زمزم القطان

ما معنى النور؟

لقد عبّر القرآن عن الكمال والقيم الرفيعة بالنور، والمراد من النور الهداية، والنور هو التوفيق الذي يتلقاه الإنسان في المسير نحو الإيمان هو الإسلام حيث الإسلام معرفة النور، والنور هو العلم حيث يعني استضاءة القلب، والقرآن نور: قوله تعالى ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[1] والنور هو الأحكام الإلهية والقيم الأخلاقية والحقائق الاعتقادية التي تضيء للإنسان طريقه إلى الله تبارك وتعالى قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[2].

إذن المراد من النور هو ذات الكمال والصفات والأسماء الحسنى للحق تعالى شأنه التي فاضت على الوجود كله حسب طاقته وقابليته وسعته وهذا ما يؤهله إلى الحياة في نور الوجود بعيداً عن الظلمات.

فالإنسان المؤهل هو من ينتقل من ظلمات العدم إلى نور الوجود ومن ظلمات النقص إلى نور الكمال، ومن ظلمات الجهل إلى نور المعرفة، ومن ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الضلال إلى نور الهداية، ومن ظلمات المادة الكثيفة إلى شفافية النور، حينئذٍ يسطع فجر الأسماء وتشرق صفات الحق التي هي النور المحض.

(١) سورة المائدة: آية ١٥.
(٢) سورة المائدة: آية ٤٤.

ومـن خلال ما ورد فـي الآيـات الكريمة ومعارف أهل البيت عليهم السـلام يمكن القول أن نـور وجه الله عز وجل هـي الحقائق الإلهية والكمال وهذا ما نجده في دعاء الجوشن الكبير.

وأما مفردة النور فلإنها تشتمل على جميع الصفات العليا والأسماء الحسنى وهي عين ذاته تبارك وتعالى وصفاته عز وجل هي عين ذاته.

ولعـل استخـدام مفرده النـور للهداية فـي المعـارف الإلهية وفي الأدعية الكريمة فلعلها تعني: يا إلهي أسألك بهداك يا دليل الكائنات وعلى كل حال إن كلمة (نور) تحمل جميع المعاني السماوية والمفاهيم الملكوتية التي تشرق على القلب فتضيء دنياه وينكشف له الطريق.

سُميت هذه السورة بالنور لاحتوائها على أهم آياتها وهي آية النور، إضافة إلى مضمونها يشعشع في جوانح الرجل والمرأة والأسرة والبشر عفّة وطهارة، وحرارة تقوى، ويعمر القلوب بالتوحيد والإيمان بالمعاد والإستجابة لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علموهنّ سورة النور، فإن فيها المواعظ»[1]

يستحب لك أيها الزوج الشريف أن تُعلّم زوجتك سورة النور وتفسيرها، لأنّ فيها آيات ترتبط بالمرأة، ويلزم عليها معرفتها، حتى تعيش في الحياة بنزاهة وطهارة وبعيداً عن المنكرات.

---

(١) الكافي، ج٥، ص٥١٦.

محتوى سورة النور

هـذه السورة خاصة بالطهارة والعفـة، وكفاح الإنحطاط الخلقي، لأن محـور تعاليمها ينصـب على تطهير المجتمع بطـرق مختلفة من الرذائل والفواحش، والقـرآن الكريم يحقق هذا الهدف عبر مراحل هي:

١- **المرحلـة الأولى:** بيـان العقاب الشديد للمـرأة الزانية والرجل الزاني، وهو ما ورد حاسماً في الآية الثانية من هذه السورة.

٢- **المرحلة الثانية:** بيان حد الزنا الذي لا تنبغي إقامته إلاّ بشروط مشدّدة للغاية، إذ لا بُدَّ من أربعةِ شهودٍ يشهدوا أنهم رأوا بأُمِّ أعينهم رجـلاً غريبـاً يزني بامرأة غريبـة عنه، يفعلُ بها فعـل الزوج بزوجه ساعة مباشرته إياها.

ولـو شهد الرجل على زوجته بالزّنا للاعن القاضي بينهما، أو يُقرّ أحدهما أو كلاهما بالحق.

ومـن اتّهم محصنـة ولم يأت بأربعة شهـود جلَـدَهُ القاضي أربعة أخماس حدّ الزّنـا، أي ثمانين جلدة، لئـلاّ يتصوّر أحـدٌ أنّ بإمكانه الطعن على الناس وهتك حُرماتهم وهو في منجىً عن العقاب.

ثم طرحـت الآية الحديث المعروف باسم الإفـك وهو اتهام إحدى نسـاء النبي ﷺ فعقَّب القرآن المجيد على هـذه المسألة مدى بشاعة الافتراء والتهمة.

٣- **المرحلة الثالثة**: تناولت الآية السبل المهمة لاجتناب التدهور الأخلاقيّ من أجل ألا يتصَّور أنّ الإسلام يهتم فقط بمعاقبة المذنبين فطرحت الآية نظر الرجال إلى النساء بشهوة أو بالعكس.

وحجاب المرأة المسلمة لأن أحد أسباب الإنحراف الجنسي ناجم عن هاتين المسألتين وإذا لم تحل هاتان المسألتان جذرياً لا يمكن القضاء على الانحطاط والتفسخ.

٤- **المرحلة الرابعة**: كخطوة للنجاة من التلوث بما يُخلُّ بالشرف دعا القرآن المجيد إلى الزواج اليسير التكاليف، ليحارب الإشباع الجنسي غير المشروع بإشباع مشروع.

٥- **المرحلة الخامسة**: بينت الآية آداب المعاملة ومبادئ تربية الأولاد، وعدم دخول الأبناء الغرفة المخصصة للوالدين إلاّ بسماح منهم.

٦- **المرحلة السادسة**: ذكرت الآية مسائل خاصة بالتوحيد والمبدأ والمعاد والإمتثال لتعاليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فضل سورة النور

جاء في حديث عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: «**من قرأ سورة النور أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى**».

وجاء في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**حصّنوا أموالكم وفروجكم بتلاوة سورة النور وحصّنوا بها نساءكم، فإنّ من أدْمَنَ قراءتها في كل يوم أو في كل ليلة لم يزن أحدٌ من أهل بيته أبداً حتى يموت، فإن مات شيّعه إلى قبره سبعون ألف ملك كلهم يدعون ويستغفرون الله له حتى يدخل في قبره**».

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تعلّموا نساءكم سورة يوسف ولا تقرئوهن إياها فإن فيها الفتن وعلموهن سورة النور فإن فيها المواعظ**».

وروي بسند معتبر عن رجل: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: «أشكو إليك ما أجد في بصري وقد صرت شبكوراً، فإن رأيت أن تعلّمني شيئاً، قال عليه السلام: **أكتب هذه الآية: «الله نور السموات والأرض» ثلاث مرات في جام، ثم اغسله وصيّره في قارورة واكتحل به.**

قال: وما اكتحلت إلاّ أقلّ من مائة ميل حتى رجع بصري أصح ما كان»[1].

(١) عين الحياة، ج٢، ص٢١٢.

والاهتمـام بمضمون السورة الذي دعا بطرقٍ مختلفة إلى مكافحة عناصـر الإنحـراف بالتـزام العفّـة، يوضـح الغايـة الأساسيـة في الحديثين الأول والثاني في أعلاه ومفهومهما العملي.

الاستعاذة من الشيطان الرجيم

الإستعاذة هي ما قد أمر الله به عباده عند قراءتهم القرآن، فقال جلّ ذكره: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[2].

فمن تأدَّب بآداب الله عزّ وجل أدّى به إلى الفلاح الدائم، ومن استوصى بوصيّة الله كان له خير الدارين.

الإستعاذة قبل قراءة القرآن مستحبّة وليست بواجبة، وهذه الإستعاذة التي ندب الله إليها لا تنحصر بقول: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**» بل إن اطلاقها يشمل الثقة بالله، والتوكّل عليه، والخوف منه، وإن لم يقترن باللفظ والقول. فمن أقدم في المهمات معتقداً أن من ورائه قوّة تمدّه وتعينه على العمل الصالح كان مستعيذاً بالله، ومن مالت نفسه إلى فعل الحرام فصدَّها طاعةً لله كان مستعيذاً بالله حقاً وواقعاً من الشيطان الرجيم.

(١) سورة النحل: آية ٩٨-١٠٠.
(٢) سورة الأعراف: آية ٢٠٠.

فكلمة: «**أعوذ**» أي: أعتصم باللّه عزّ وجل والتجيء إليه[١].

«**باللّه**» اللّه لفظ الجلالة، مِن أسماء اللّه عزّ وجل، بل هو أعظمها وأشهرها.

«**من الشيطان**» الشيطان مشتق من: شطن أي تمرَّد، وبسبب التمرّد طُرد وبَعُد عن رحمة اللّه، فالشيطان هو الموجود البعيد عن رحمة اللّه عز وجل.

ويعتقد البعض أن الشيطان هو ذلك الموجود الذي وسوس إلى نبي اللّه آدم عليه السلام في حين أن هذه الكلمة هي لفظ عام يطلق على كل موجود مضرّ وشرّير، سواء أكان من النوع الإنساني أم من نوع الجن من جنس الحيوان[٢] أمّا الشيطان الذي غوى آدم عليه السلام ووسوس له، فهو من أشرار الجن ويدعى: إبليس.

إذن: كلمة الشيطان لا تختص بإبليس، بل تطلق على أشرار الإنس أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾[٣].

«**الرجيم**» أي المطرود والملعون[٤]، وقد ورد في آيات القرآن الكريم أنّ جميع شياطين الإنس والجن قد طردوا من رحمة اللّه عزّ وجل، وأبعدوا عن لطفه. ويلعنهم المؤمنون في الدنيا وسيُرجمون في الآخرة بأحجار جهنم.

---

(١) انظر مجمع البيان، ج١، ص١٨.
(٢) مجمع البحرين للطريحي، ج٦، ص٢٧٢، مادة شطن ومجمع البيان، ج١، ص١٨.
(٣) سورة الأنعام: آية ١١٢.
(٤) مجمع البحرين، ج٦، ص٦٨ مادة رجم.

نحـن لم نر الشيطـان وجهاً لوجه، ولكن أخـبر الوحي عنه فوجب التصديـق بذلك، وقد ذكر اللّه سبحانه وتعـالى في كتابه العزيز أنّ الشيطان يتصدّى لغواية الناس وصرفهم عن طاعة اللّه وعمل الخير، بناءً على هذا فكلّ ما يحول بين الإنسان وبين طاعة اللّه والخير ويُغريه بالمعصية والشر فهو شيطان حسّي أو معنوي.

إنّ اللّه سبحانـه لا يعامـل المكلّفـين بإرادة الخَلـق والتكوين وعلى طريقة (كن فيكون) وإنما يعاملهم بالإرشاد، وإرادة الطلب والتشريع التي يعبَّر عنها بالأمر والنهي.

وقيـل: إن إبليـس (لعنـه اللّه) التقى ذات يـوم بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال لـه: إن اللّه نعتك بالمرشد الهادي، ووصفنـي بالمضلِّ الغاوي.. وكلٌ من الهداية والغواية في يده وليس في يدك شيء.

فقـال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: كلا، إن في يدي بيان الباطل والزجر عنـه والوعيد عليه، وفي يدك الخداع والنفاق والإغراء الباطل، وفي يـد الإنسـان القدرة علـى التمييز والاختيـار، فمن أحسـن الاختيار فلنفسه ومن أساء فعليها.

وروي أنّ أمـير المؤمنين عليه السلام قـال: إنّ قوله «**أعوذ باللّه**» أي أمتنع اللّه (السميع) لمقال الأخيار والأشرار، ولكل المسموعات من الإعلان والإسـرار (العليم) بأفعال الفجّار والأبرار، وبكل شيء ممّا كان وما يكون وما لا يكون أنْ لو كان كيف يكون (من الشيطان) هو البعيد من كلّ خير (الرجيم) المرجوم باللعن، المطرود من بقاع الخير.

وقال الإمـام الصادق عليه السلام: **أغلقـوا أبواب المعصيـة بالإستعاذة وافتحوا أبوا الطاعة بالتسمية.**

وقيل: إنّ الشيطان جاء إلى عيسى عليه السلام وقال له: ألا تزعم أن لك مكاناً عليّاً عند الله؟ فالق نفسك من شاهق لنرى: هل ينقذك من الهلاك؟

قال السيّد المسيح: إنّ الله يمتحن عبده، وليس للعبد أن يمتحن ربَّه.

فالشيطان لا يدعونا لنفسه، بل نحن الذين نفسح له المجال لإغوائنا ولذا يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾[1] فالشيطان لا يسيطر إلاّ بعد أن يميل إليه الشخص ويتبعه ويتولاّه، ولذا يقول القرآن الكريم في آية أخرى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2].

والمقصود بالسلطان هي القدرة، فقدرته تنهار أمام المؤمن الحق لأنه يعرف الشيطان، فبمجرد مواجته للوسوسة يتذكر ويتوجه قبل الوقوع تحت نفوذه وسيطرته.

(١) سورة النحل: آية ١٠٠.
(٢) سورة النحل: آية ٩٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

أول آية في القرآن المجيد، هي ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ وهي أعظم وأجل آيات القرآن المجيد، وقد حدّث الإمام الرضا عليه السلام في شأن ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ فقال: «**إنها أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها**»، ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**كل أمر ذي بالٍ لم يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر**».

أي أن كل قول وحركة وفعل، وأي عمل من الأعمال تقوم به فإنه إن لم يبدأ بالبسملة فلا نهاية تُرجى منه.

ويؤكد الإمام الصادق عليه السلام على أهمية البدء بها وعظمتها فيقول: «**لا تدعها ولو في شعر**» أي لا تغفل عنها ولو أنك تتلو أبياتاً من الشعر.

- بسم الله تُبعد الشرّ وتدفع الضرر:

ذُكر أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في يوم من الأيام من على المنبر بما مفاده: «**إني ضامنٌ لكل من شرع في متناول طعامه بسم الله، ولم يغفل عنها أن لا يُصيبه ضرر في صحته من طعامه هذا**».

أراد ابن الكوى، وهو شخص معروف بالنفاق وكان يضمرُ العداوة والبغض لأمير المؤمنين علي عليه السلام، أراد أن يدحض قول أمير المؤمنين

عليه السلام الذي ذكرته آنفاً، فقال له: حين تناولت طعامي البارحة بدأت بـ«**بسم الله**» ولكن صحتي تدهورت بعد فراغي من الطعام.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «**فلعلّك أكلت ألواناً فسمّيت على بعضها ولم تُسم على بعض**» أي إن الإمام أراد أن يقول له إن أردت دفع ضرر الطعام عن نفسك فعليك أن تسمّي على كل نوع ولون من الغذاء حين تشرع بتناوله، وهذا من آداب الإسلام فعلى كل مسلم أن لا يغفل عن ذلك لما فيه من الثواب أولاً والصحة ثانياً.

وفي رواية أخرى إن أحدهم جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: يا بن رسول الله إنني دائماً عند تناول الطعام أشرعُ بـ«**بسم الله الرحمن الرحيم**» ومع ذلك فإن الأذى والضرر يُصيبني.

فقال له الإمام علي عليه السلام: **إذا قطعت التسمية بالكلام ثم عدت بالكلام تُسمي؟**

قال الرجل: لا.

قال عليه السلام: **فمن ها هنا يضرُّك.**

أي الإمام عليه السلام يريد أن يبين له أنه ربّما يبتدأ الأكل بالبسملة فيتخلل تناوله حديث عارض فيقطع البسملة، لذا عليه أن يكررّها كي يستمر أثرها.

وفضلاً عن المردود المبارك لذكر اسمه تعالى بالرحمانية الرحيمية والشروع به فإنه يطرد شر الشيطان ويمنعه من المشاركة في تناوله الطعام، وكذلك الحال في جميع الأمور وخاصة عند المواقعة والجماع، يجب ذكر البسملة ولا بُدّ من عدم الغفلة عنها وتركها، لأن

ذلك يعنـي تدّخل الشيطان في شؤون المؤمـن ومشاركته إيّاه في كل أموره عنـد الإستغناء عن البسملة الشريفـة، وخصوصاً فيما يتعلق بالمشاركة في الأمـوال والأولاد، وهو الأمر المسلّم به وبصريح النص القرآني إذ يقول: ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾[1].

يجب ذكر البسملة في كل حال من الأحوال:

الهدف الأسمى لهذه الآية الشريفة وهي البسملة هو أن تظل تُردّدُ وتلهج بهـا ألسُنُ المؤمنين ويلـزمُ عدم إهمالها والغفلـة عنها في أي حـالٍ من الأحـوال ويؤكد الإمام العسكـري عليه السلام على هذه الحقيقة حيـث يقول سلام الله عليه: «**ولربما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمـره (بسـم الله الرحمـن الرحيـم) فيمتحنهُ الله بمكـروه لينبهـهُ علـى شكر الله والثناء عليه**» فالغاية من البلاء هنا هي التأدب وهذا إن دلّ دل علـى حـب الله سبحانه لمـوالي أهل البيـت عليهم السلام فجعل عقوبتهم على معاصيهم أو تقصيرهم في العمل والسلوك في الدنيا بالبلاء كي ينتبهوا إلى أنفسهم ويؤدّبونها بآداب الله.

- قصة عبدالله بن يحيى مع أمير المؤمنين علي عليه السلام:

دخـل عبـدالله بن يحيـى على أمـير المؤمنـين عليه السلام وكان بجنبه عليه السلام كرسـيّ فقال الإمام له أن يتفضّـل بالجلوس عليه وعندما همّ ابن يحيـى بالجلوس على الكرسي أنقلـب الكرسي فجأة وسقط منه علـى الأرضـ، ففُجَّ رأسه وسـال الدم منه عندها أمـر أمير المؤمنين

(١) سورة الإسراء: آية ٦٤.

أن يُؤتى بالماء فجاؤوه به، فغسل به رأسه، ثم قال له الإمام: أدنوا مني فدنا منه، فوضع عليه السلام يده المباركة على موضع الجُرح وراح بيده الأخرى يضع من لعابه الشافي على الجرح، ثم شدّ رأسه فبرأ الجرح في الحال وكأنّ لم يكن، ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا عبدالله أفشكر الله الذي جعل تمحيص شيعتنا بالبلاء طهارة لهم من ذنوبهم ومعاصيهم في دار الدنيا، كي تبقى طاعاتهم مصانة محفوظة يجزون عليها بالثواب في الآخرة، ثم سأل عبدالله مولاه قائلاً: يا أمير المؤمنين ما الذنب الذي صار سبباً في سقوطي على الأرض، كي أحترز منه ولا يصدر مني ثانية؟

قال أمير المؤمنين عليه السلام: تركُك حين جلست أن تقول بسم الله الرحمن الرحيم فجعل ذلك لشَهوكَ عمّا ندبت إليه تمحيصاً بما أصابك، أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حدّثني عن الله تعالى «**كل أمرٍ ذي بالٍ لم يذكر فيه بسم الله فهو أبتر**».

وقد جاء في الروايات المتواترة: إن المؤمن حينما يعطي بيده غداً يوم القيامة صحيفة أعماله ليقرأها[1] فإنه سيبدأ قراءتها كما تعوّد ذلك في الدنيا حينما يبتدأ بحديث أو قراءة شيء، سيبدؤها أولاً بقول: بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا به ينظر فجأة فيجد أن كُلّ ذنوبه قد مُحيتْ من صحيفة أعماله، ويأتيه النداء من الأعلى: أنْ يا عبدنا إنك ذكرتنا بالرحمانية والرحيمية، وها نحن أيضاً نعاملك برحمتنا.

(١) ﴿إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حساباً﴾ سورة الإسراء: آية ١٤.

هـذا ما فعله أحـد علمائنا الأجـلّاء عندما خطّ بيـده (**بسم الله الرحمـن الرحيـم**) ووصّى أن ترفق معه في كفنه وقال: إنها لأجل أن أخاطـب بها ربّي وأقول إلهي أن أوّلَ جملة شريفة في كتابك وأول آية ووسـام كل سورة فيها هي (**بسـم الله الرحمن الرحيـم**) إلهي فيها عاملني، برحيميّتك ورحمتك التي وسعت كل شيء.

جـاء في الأحاديث المروية عن الأئمـة المعصومين عليهم السلام، أن مـن دعا الله عـز وجل باسمـه الأعظم استجيب دعـاؤه وقضيت حاجته[1].

فهذا الاسم المبارك مفتاح كل حاجة ودواء كل علّة، والاسم الأعظم مـن الأسرار التي لا يعلم بهـا إلا المعصومون علهم السلام وأصحاب أسرارهم.

- ما تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم»؟

سُئـل أمير المؤمنـين علـيّ عليه السلام: مـا تفسـير «**بسـم الله الرحمن الرحيم**»؟ قال عليه السلام: **إن العبد إذا أراد أن يقرأ أو يعمل عملاً يقول: «بسـم الله» أي: بهـذا الاسم أعمل هذا العمل، فـكلّ أمر يعمله يبدأ فيه بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» فإنه يبارك فيه**[2].

فيجدر بالمسلم الذي يروم عملاً معيناً أن يقول: «**بسم الله الرحمن**

(١) كما روي في قصة نبي الله سليمان عليه السلام: «قال الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا، وكان وزير سليمان وابن أخته وكان صدّيقاً يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب.. قال الكلبي: فخرّ آصف ساجداً ودعا باسم الله الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان».

(٢) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

الرحيم» سواء أراد أن يقرأ أو يكتب أو يتحدث أو يمسك قلماً يريد أن يكتب شيئاً ما، فلو لم يكن هناك عون من الله فلن يستطيع أن يكتب حتى كلمة واحدة.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**بسم الله الرحمن الرحيم**» **أحق ما أجهر به، وهي الآية التي قال الله عز وجل**: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾[1]، وقال عليه السلام: **الإجهار بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة واجب.**

- آثار بسم الله في صورتها الحقيقية:

إذا قال شخص باء بسم الله بمعرفة وعلى وجهها الحقيقي، ثم إذا سمعت أنه قد عبر على صفحة الماء، فصدّق ذلك لأنه أمر صحيح وواقعي، لأن كل ما في الوجود تجده في باء بسم الله موجود. أي على الإنسان أن يبعد القيام بذاته والاستقلال عن نفسه في جميع شؤونه.

- قصة:

كان واعظاً ارتقى منبراً وأخذ يتحدث، فذكر هذه الحقيقة: إعرفوا قدر بسم الله فلو قلتم بسم الله لمررتم على صفحة الماء، وكان يجلس عند المنبر أحد القرويين الذي كان يحضر إلى مجلس الواعظ بصعوبة من قريته لوجود نهر يقطع الطريق، فعندما سمع ذلك انسرّ وعندما أراد الرحيل طبق هذا القول وقال: بسم الله الرحمن الرحيم ووضع قدمه على الماء ومشى إلى الطرف الآخر، وعندما عاد في

(٤) سورة الإسراء: آية ٤٦.

صبيحـة الغد قال البسملة وعبر، مرت أيـام على هذا الحال ثم فكر هذا القروي أن يستضيفه في منزله، فعلاً جاء مع الواعظ ولما وصلا إلى حافة النهر قال هذا الرجل القروي: بسم الله واجتاز الماء، وظن أن الشيخ يسير إلى الطرف الثاني فقال له: أيها الواعظ لماذا لا تأتي؟ قال الواعظ: لا يمكن، إن الذي تحوزه أنت لم أحزه أنا.

- باء «بسم الله»:

إعلـم أن جميع أسرار الكتب السماويـة في القرآن، وجميع ما في القـرآن في الفاتحة، وجميع ما فـي الفاتحة في البسملة، وجميع ما فـي السملة في باء البسملة، وجميع ما فـي باء البسملة في النقطة التي هي تحت الباء.

قال أمير المومنين عليه السلام: أنا النقطة التي تحت الباء.

وهذا يعنـي أن جميع أسـرار وعلوم القرآن الكـريم وسائر الكتب السماوية عند أمير المؤمنين عليه السلام.

ابن عباس قال: أخذ بيدي الإمام علي عليه السلام في ليلة مقمرة فخرج بي إلى البقيع بعد العشاء، وقال: إقرأ يا عبدالله.

فقرأت: بسم الله الرحمن الرحيم.

فتكلّم لي في أسرار هذه الباء إلى بزوغ الفجر.

وهذا يعني إن العلوم والأسرار المودعة في باء (**بسم الله**) هي علوم غـير متناهية وهي موجودة في وجوده المقدّس.. أي باء (**بسم الله**) تسـاوي علي بن أبي طالب عليه السلام، بل هـي عينه، لأن الخبر هو دائماً

عين المبتدأ، وقوله عليه السلام: «**أنا النقطة تحت الباء**» جاء بصورة مبتدأ وخبر إن معلم عالم الخلق تحدث مع ابن عباس بخصوص أسراره عليه السلام، ولا عجب أن الوجود المقدّس لأمير المؤمنين علي عليه السلام هو «بسم الله الرحمن الرحيم» لكتاب تكوين الخلقة العظيم، كما هو الحال لخاتم الأنبياء محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، فهو الكتاب التكويني العظيم لعالم الخلق.

إذاً القرآن التدويني بجميع خصائصه هو عين الكتاب التكويني، فإذا تحدث عليّ عليه السلام عن أسرار باء «**بسم الله**» أو أسرار وجوده المقدّس لابن عباس فلا فرق، فكلاهما شيء واحد، إلا أن أحدهما من جهة التدوين والآخر من جهة التكوين.

- **فضائل البسملة:**

وإن «**بسم الله الرحمن الرحيم**» لما نزلت فرح أهل السماوات بها من الملائكة واهتز العرش لنزولها ونزل معها من الملائكة ما لا يُحصى عددهم إلا الله وازدادت الملائكة إيماناً وتحركت الأفلاك ودنت لعظمتها الأملاك وكانت مكتوبة على جبهة آدم عليه السلام قبل أن يخلق بخمسمائة عام وكانت مكتوبة على جناح جبرائيل عليه السلام يوم نزوله على إبراهيم عليه السلام وقال: بسم الله يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، وكانت مكتوبة على عصا موسى عليه السلام، وكانت كتابتها بالسريانية ولولاها ما انفلق له البحر، وكانت على لسان عيسى عليه السلام حين تكلم في المهد صبياً وكان يتلوها على الموتى فيجيبون بإذن الله تعالى وكانت مكتوبة على خاتم سليمان عليه السلام وأنها مكتوبة في كل أول سورة من القرآن الكريم لعظمتها ولهو خواص ومنافع وثواب عظيم.

يروي صاحب مدينة المعاجز عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: **من قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» بنى الله له في الجنة سبعين ألف قصر من ياقوتة حمراء في كل قصر سبعون ألف بيت من لؤلؤة بيضاء في كل بيت سبعون ألف سرير من زبرجدة خضراء في كل سرير ألف فراش من سندس واستبرق وعليه زوجة من الحور العين ولها سبعون ألف ذؤابة مكللة بالدر والياقوت مكتوب على خدها الأيمن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى خدها الأيسر علي ولي الله وعلى جبينها الحسن وعلى ذقنها الحسين وعلى شفتيها «بسم الله الرحمن الرحيم»**. قال الراوي: قلت يا رسول الله لِمَنْ هذه الكرامة؟ قال صلى الله عليه وآله: **لمن قال بالحرمة والتعظيم «بسم الله الرحمن الرحيم»**.

وروي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **من قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» كتب الله له بكل حرف أربعة آلاف حسنة ومحى عنه أربعة آلاف سيئة ورفع الله له أربعة آلاف درجة.**

وقال صلى الله عليه وآله: **إذا مرَّ المؤمن على الصراط فيقول: «بسم الله الرحمن الرحيم» أُطفئت لهب النار وتقول جزْ يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي.**

- الـ«باء»:

ذكرنا معنى الباء في «**بسم الله**» من الناحية المعنوية على لسان مولى المتقين أمير المؤمنين علي عليه السلام، وسنذكر معنى الباء من الناحية اللغوية والأدبية.

الباء حرف جر جاء بمعانٍ مختلفة منها:

١- **الإستعانة**: فيكون معنى «بسم الله»: أستعين بالله.

٢- **الابتداء:** فيكون معنى «بسم الله»: أبتدئ باسم الله.

٣- **الالتصاق:** فيكون معنى «بسم الله»: ألتصق باسم الله.

القول الأصح والأقوى هو أن تكون الباء بمعنى الإستعانة لأن هدف كل عبد هو ذكر «بسم الله الرحمن الرحيم» في بداية الأعمال هو في الواقع استمداد العون والمساعدة من الله عز وجل، لإتمام العمل بتوفيق ونجاح ويؤيّد ذلك قوله تعالى: «إياك نستعين».

- الـ«إسم»:

الـ«إسم» مشتق من كلمة الـ«سمو» بمعنى «الإعتلاء والرّفعة» وبعد حدوث الإعلال والإبدال أصبح بصورة الـ«إسم» وهو الكلمة التي توضع للأشياء وللأشخاص، وقد أخذت من تلك المادة لأنها أساس لارتفاع شأن صاحبها وإن أفضل الأسماء لأولاد المسلمين التي تعطيهم الإعتلاء والرفعة هي أسماء محمد وآل محمد عليهم السلام الجميلة، وأسماء أصحابهم وأنصارهم.

ففي زيارة الجامعة الكبيرة نخاطب محمداً وآل محمد عليهم السلام فنقول: «**فما أحلى أسماؤكم، وأكرم أنفسكم، وأعظم شأنكم**».

وقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أن «إسم» مأخوذ من «السمة» أي العلامة، وباسم الله تعني أني وسمت نفسي بسمة العبودية لله فأصبحت عبداً لله ونفيت عن نفسي عبادة غيره، وعبوديتي له وحده.

«اللّٰه»

«**اللّٰه**» هو اسم الذات الأحدية المقدسة والتي لها كل صفات الكمال، أي أن الإسم المبارك «**اللّٰه**» يعني كل الأسماء الحسنى وصفات الخالق العليا، فالخالقية والرازقية والإغاثة والإحياء والإماتة و.. كل صفات الخالق الألوهية والربوبية في هذا الاسم المبارك.

من أسماء الحق الخاصة التي ليست لغيره.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رجلاً قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن «بسم اللّٰه» ما معناه؟

فقال عليه السلام: **إن قولك «اللّٰه» أعظم اسم من أسماء اللّٰه عز وجل، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمى به غير اللّٰه، ولم يتسّم به مخلوق**[1].

يعتقد علماء التفسير أن لفظ الجلالة «اللّٰه» هو اسم مشتق، وهناك أقوال كثيرة في اشتقاقه نذكر بعضها:

١- إن كلمة «**اللّٰه**» من مادة «إله»، والتي تعني الحيرة، فاللّٰه «تحير فيه العقول» فلا أحد يمكنه إدراك حقيقته، نعم يمكن معرفة أفعاله وصفاته، يمكن معرفة آثاره، أما ذاته المقدسة فإنها تحيط بكل شيء ولا يحيط بها شيء.

وقد تعني كلمة «إله» الفزع «يفزع إليه كل مخلوق» أي يلجأ إليه،

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٢٧.

فكل مخلوق عند الشدة والاضطرار يصيح يا الله. عندما تنقطع به الأسباب فإنه يتوجه إلى الله بالفطرة، فحين يكون في سفينة تشرف على الغرق أو في طائرة أصيبت بخلل في الجو، أو في سيارة توشك على الإصطدام، فإنك ترى أنه يصرخ يا الله ويعود إلى خالقه.

وقد تعني كلمة «الإله» هو المستور عن حواس الخلق، المحجوب عن الأوهام والخطرات.

٢- «**الله**» هو المعبود الحق، والذي يستحق العبادة والذي له الخضوع والتذلل ولا يليق لأحد غيره[١].

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

كل ما عدا الله محتاج لله [٢] ومن لا يحتاج لغيره فهو أهل لأن يُعبد ويتذلل له، وتُمد له يد الحاجة ولا تُمد إلى غيره المحتاج إليه.

إنه لمحيّر حقاً، كم بلغ الضياع والضيعة ببعض الناس حيث يعبدون جماداً أو نباتاً أو حيواناً، وهناك من يعبد النجوم والقمر والشمس ومن يعبد الشجر والبقر علماً العابد أرفع درجة من المعبود، الإنسان أشرف من الجماد والنبات والحيوان، علاوة على ذلك نجد الذين يخضعون لبشر مثلهم فإنهم ضالون منحرفون فمن يخضع لبشر مثله فهو جاهل لأنهما كلاهما عبدان لربٍ واحد والمؤمن لا ينصاع إلا لله ولما هو لله.

(٢) ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾ سورة الحج: آية ٦٢.
(٣) ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾ سورة فاطر: آية ١٥.

- قصة:

كان هشام بن عبدالملك بن مروان قاصداً للحج وعند وصوله للمدينة المنورة مركز صحابة رسول الله ﷺ سأل عن صحابة رسول الله هل بقي منهم أحد؟ قيل: لا، فسأل فمن التابعين[1]؟

قالوا: نعم، طاووس اليماني فأحضره.

كان هشام يجلس بكبرياء على كرسي عندما دخل عليه طاووس اليماني بنعليه غير مبالٍ بهشام حتى وطئ بساطه وعندها خلع نعليه ووضعهما تحت إبطه وسلّم على هشام وجلس في زاوية وقال: يا هشام كيف حالك؟ غضب هشام وسأله عن سبب إهانته له.

قال طاووس: وماذا فعلت؟

قال هشام: وهل هناك أسوأ مما فعلت، وطأت بنعليك بساطي وخلعتهما حين اقتربت مني، ولم تذكرني بلقبي فلم تقل يا أمير المؤمنين، لو ذكرت كنيتي على الأقل؟ يبدو أنك لا تقِّر بخلافتي.

قال طاووس: إني لأخلع نعلي عند بساط رب العالمين في اليوم والليلة خمس مرات ولا يؤاخذني ربي، وأما عند دخولي عليك لم أقل أمير المؤمنين لأني ما أردت أن أكذب فليس كل المؤمنين يقبلون بإمارتك أما ذكري لإسمك وعدم تكنيتك، فالله في القرآن يذكر أسماء الرسل ولا يكنيّهم فيقول: ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوة**﴾، ﴿**يا موسى إني أنا الله**﴾، ﴿**يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض**﴾،

(١) التابعون هم الذين لم يدركوا رسول الله × بل أدركوا صحابته.

﴿**يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس**﴾، نعم إني وجدت القرآن يذكر الكفار بكنيتهم فيقول: ﴿**تبت يدا أبي لهب وتب**﴾.

قال هشام: فلماذا جلست أمامي؟

أجاب طاووس: سمعت مولاي علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار، فلينظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام»، وفي النتيجة أسكت هشاماً، هناك قال هشام: إنصحني.

قال طاووس: سمعت مولاي علياً عليه السلام يقول: «**إن في النار حيات كالإبل وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته**».

قال هذا وقام وخرج من المجلس..

إذن على الإنسان أن يدرك أن الله هو الوجود المطلق، وأن الإنسان وسائر المخلوقات هم العدم المطلق، عندها ليقل: يا الله.

روي أن بعض الصحابة سأل رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعلمهم إسم الله الأعظم، لشوق قلوبهم إلى ذلك، فقال صلى الله عليه وآله: «**إقطع عن غيره وقل: يا الله**» **أي خذ بقلبك عن غير الله، ثم قل: يا الله، لأن كل شيء عاجز ما خلاه تعالى، حتى تعرف حقيقة ذلك اذهب إلى مقبرة دار السلام أو غيرها من مقابرالمسلمين ستجد عدداً كبيراً من الحكام والوزراء وأصحاب الجاه قد رقدوا فيها، من كل الفئات والطبقات، هذه الدنيا دار مؤقتة زائلة فكفانا القول أنا ، أنا، فإنك ضعيف وذليل، فإقطع القلب عن الجميع وقل: يا الله.**

«الرحمن الرحيم» رحمة الله الرحمانية والرحيمية

الرحمن الرحيم إسمان من أسماء الله الحسنى، والإسمان وإن كانا كلاهما يدلان على الرحمة المطلقة لله ولكنهما نوعان من الرحمة: «الرحمن إسم خاص لصفة عامة- والرحيم إسم عام لصفة خاصة».

الرحمن: رسم خاص لله ولا يسمّى به أحد وإن أُريد تسميةُ أحدٍ به فلا بد أن تسبقه كلمة (عبد) أي عبدالرحمن، أما اسم الرحيم فهو إسم عام أي أنه يسمى به الله كما يسمى به غيره.

رحمة الله الرحمانية: شاملة لكل ما دون العرش من الملك إلى الملكوت، من جمادات ونباتات وحيوانات وإنسان، وكل ما في عالم الوجود تشمله رحمة الله الرحمانية، فبرحمته الرحمانية يُنبت الزرع ويُحيي الأرض الميتة[1] وأعطى لكل مخلوق ما يحتاج، فالنبات الذي يحتاج إلى جذع جعل له جذوراً ضخمة كشجرة الجوز، والنبات الذي يحمل ثماراً ثقيلة كالبطيخ فالأرض تحتضنه ولا يحتاج إلى جذع يحمله، ولو كان للبطيخ ساق يحمله لما تحمّل ثقل البطيخ ولتكسّرت أغصانه.

الله هو الرحمن الذي خلق كل شيء ووهبه الهداية التكوينية[2].

(١) ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ سورة الروم: آية ٥٠.
(٢) ﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ سورة طه: آية ٥٠.

أمثلة توضح رحمة الله على خلقه:

١- النبات:

بعض النباتات لها شعور وإحساس، فهي حين تُفرع وتنمو تقرب من الجدار أو خشبة فإنها تتسلق حتى تصل إلى السطح لتنشر هناك مثل نبات العنب.

وبعض الأشجار الصغيرة حين تكون في ظل شجرة كبيرة تحجب عنها النور، ولحاجتها لنور الشمس فإنها تميل إلى الجهة التي يصلها نور الشمس.

٢- الطيور:

يقول الله سبحانه في كتابه المجيد ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾[1] فرحمة الله الرحمانية هي التي جعلت أجنحة الطير حتى عند سكونها فإنها تحمل الطير وهو يحلق في الهواء ولا يقع مع أن بعضها ثقيل الوزن.

لقد وهب الله لكل طير جناحاً خاصاً يناسبه، كلما كان حجم الطير ثقيل كان جناحه أطول يتحمل ثقل الجسم، يقبضه ويبسطه، وريشه موزع توزيعاً منتظماً كل ريشة تتكون من أجزاء رقيقة تصطف على جانبي نصل الريشة الذي يشبه العظم.

(١) سورة الملك: آية ١٩

٣- الإنسان:

الله عـز وجل قسم الأرزاق على جميع عباده، المسلم منهم والكافر، القرشي والحبشي، العدو والصديق، بصفة رحمانيته، نعم كلّ من كان لـه سعي أكثر في هـذا المجال حصل على رزق مـن الله أوفر: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[١].

ولكن بسبب جهل الإنسان معالم الوجود، فإنه لا يرى إلاّ ما يخالف رغبتـه، فعندما يمرض أو يفتقر طالب المال فإنه يـرى أن ذلك من الله ويغفـل عن سيـل النعم الذي يغمره لأنه جاهل حقاً كما يُعبّر عنه القـرآن ﴿ جَهُولًا ﴾[٢]، وهـذا مبالغة في الوصـف للجاهل، ما يراه نقصـاً، كالمرض والفقر فإنـه رحمة، فلربما كان هـذا المرض دافعاً لخطر عظيم.

ومثال على ذلك:

أُصيـب سلمان الفارسي بزكام شديد فجاء إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وهـو يلف رقبتـه ورأسه، فقـال له أمير المؤمنـين عليه السلام: لكل إنسـان ستة عـروق، عرق الجنون وعرق العمـى وعرق الجذام وعرق الطاعون وعرق البرص وعرق البواسير.

ثـم قال: إذا تحرك عرق الجنون، ابتلاه الله بالزكام لتخرج المواد الضارة من الرأس وبذلك يمنع الزكام الإصابة بنوع من الجنون.

وإذا بـدأت مقدمـات العمى ابتـلاه الله بألم العـين، وللوقاية من

(١) سورة النجم: آية ٣٩.
(٢) ﴿إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ سورة الأحزاب: آية ٧٢.

الجذام فإن شعيرات الأنف تقي من هذا المرض، وإذا ظهر الاستعداد عند شخص للإصابة بالطاعون فإن السعال يدفعه، ولمنع البرص أصابه الله بالدُمّل ليخرج الدم الفاسد فيمنع تأثيره على الجلد، وعندما تتهيأ أسباب البواسير تتشقق القدم ليخرج منها البخار فتمنع مرضاً أشد منها، وكلما برد الجو فإنه يتألم ولا يمكنه المشي، ومع هذا فإن فائدته تستحق ذلك، شر قليل يجر خيراً كثيراً وهو دفع شر كثير، ولتوضيح ذلك:

الطفل عندما يصرخ من آلام في بطنه يقرر الطبيب بعملية (الزائدة الدودية) قبل أن تنفجر، تجد الأم التي تحب طفلها كثيراً ولكنها جاهلة تقول: طفلي يتألم لا يتحمّل العملية أما الأب العارف بمصلحة طفله فإنه يحمل ولده ويذهب به إلى الطبيب ولا يبالي باعتراض أمه، لأنه شفيق وعارف أما الأم وإن كانت شفيقة لكنها جاهلة، المحبة والشفقة على الطفل توجب إجراء العملية.

الشر القليل الذي يجلب خيراً كثيراً، يقبل به الإنسان العاقل.

- تمتّع الحيوانات في الدنيا:

قد يسأل البعض لماذا الحيوانات لا تمرض أو نادراً ما تمرض بينما الإنسان الذي كرمه الله على الحيوان تجده دائماً يمرض بأنواع الأمراض حتى أحصت كتب الطب القديم أكثر من أربعة آلاف مرض؟

الجواب على هذا التساؤل: أولاً لا يمكن مقارنة الإنسان بالحيوان لأن دار الحيوانات هي هذه الدنيا فلا بُد أن تنعم بعيشها فيها «**الدنيا دار من لا دار له**» فهي مقر من لا آخرة له.

فـإذا مرضت الحيوانـات فإنها تشفـى بالعلاج بأعشـاب هداها الله لاستعمالهـا، فمثلاً الأفعـى إذا قضت من عمرها ألف عام فإنها تفقـد بصرها، ويكون علاجها نبتة (الحبة الحلوة) تمسح بها عينها فتشفـى، والأسد عندما يمرض فـإن علاجه أن يأكل قـرداً، والكلب يشفـى بأكل ورق نبات النيل، والبعير يأكل ورق البلوط، والديك يأكل النملـة، والهدهـد يـأكل العقرب وهكـذا.. أذن الحيوانـات قليلاً ما تمرض وهي تعرف دواءها وتستعمله بإلهام الله لها فتشفى.

- ما الحكمة من وجود الأمراض؟

١- أمـا سبـب الأمراض التـي تصيب الإنسان هو علـى أساس أن الإنسان هو العين المبصرة لهذا الكون، فلا بد أن يرى وأن يعرف آثار قدرة الله وحكمته، فالمرض هو الذي يدفع الإنسان للبحث في خواص كل نبـات وجماد والتنقيب عنها. فمثلاً شدة ألم البطن تُلجِؤه للبحث عـن الخواص العلاجية **لورد لسان الثور**، فلولا المرض لم يتطور علم الأعشاب وعلم التشريح وغيرها.

٢- ومـن جملة الحكم والمصالـح للإصابة بالأمراض التي تصيب الإنسـان هـي تصفية النفس فلـولا المرض فإن الـروح لا تتطهر كما ينبغـي لها. وقد ورد عن رسول الله ﷺ يقول: **حُمّى ليلة من مرض تعدل عبادة سنة، ويكتب له ثوابها.**

والإنسـان المريض يقل حسده وحقده وحرصه، لذلك تجد المريض يقـول: لتكن الدنيا لمـن تشاء، فلا أريد إلا الشفـاء من الله وأن أقوم معافى مـن فراش مرضي، وليحترق مال الدنيـا، فالمريض هو الذي يعرف قدر العافية ويعرف النعمة.

وقد ورد في الروايات أن تطلب من المريض الدعاء لك عند عيادته فإن دعاءه مستجاب لأن أثناء مرضه أكثر إنقطاعاً عن الدنيا وأكثر توجهاً لله وللآخرة.

٣- المرض يروض المتمردين العاصين: في حديث شريف عن رسول الله ﷺ يقول: «**لولا ثلاثة في ابن آدم ما طأطأ رأسه شيء، المرض والفقر والموت**».

هذه الثلاثة تخضع ابن آدم وتذكّره بالآخرة، فكم من الأشقياء يطغون لغناهم وسلامتهم، لكنهم يعودون لرشدهم ببركة الفقر والمرض.

من الطبيعي أنه لا ينبغي لأحد أن يتمنى الفقر والمرض ويطلبه، بل يجب أن يسأل الله الغنى والعافية وإذا علم الله أن مصلحته أن يكون فقيراً أو مريضاً فيجب أن يشكر الله على ذلك، فعلامة أن الفقر نعمة للمرء هو أنه يتوجه فيه إلى الله.

وبهذا نرى كم منَّ الله علينا، فقد غمرنا بنعمه وإحسانه من رأسنا إلى قدمنا وفي كل الأحوال في الصحة والسقم، في الغنى والفقر، في الرجاء والشدة وغير ذلك وعندئذٍ نعلم كم نحن جاحدون، وكم يُحسن الله لنا ونحن نقابله بالإساءة والجحود «**أنت المحسن ونحن المسيئون**» لو أحسنّا إلى إنسان وتجاهل الشخص ذلك الإحسان فكم نتأثر من نكرانه للجميل، بينما حالنا نحن مع الله كذلك[1] فكأنه لم ينعم علينا بنعمة واحدة.

(١) فلم أرى مولى كريماً أصبر على عبد لئيم منك عليّ. «من دعاء الافتتاح».

رحمة الله بالشاب السكران:

روي عن ذي النون المصري أنه قال: أردت يوماً أن أذهب إلى شاطئ النيل، وخرجت من البيت فإذا بعقرب مسرعة، فقلت في نفسي لا بدّ أنها مأمورة فتبعتها حتى وصلت إلى شاطئ النيل ووقفت على الماء فجاءت ضفدعة إلى الضِّفّة فاسندت ظهرها إلى الجُرف فركبتها العقرب وحملت العقرب إلى الضّفّة المقابلة فقلت عجباً، فعبرت النهر بقارب فوجدت الضفدعة تلصق ظهرها إلى الجُرف فنزلت العقرب وذهبت مسرعة حتى اقتربت من شجرة تحتها شاب سكران ملقى على الأرض وعلى صدره أفعى تُقرِّب رأسها من فمه فانطلقت العقرب حتى وقفت على رقبة الأفعى فلدغتها فماتت الأفعى وعادت العقرب.

ركلت الشاب السكران برجلي وقلت له: ويلك، قم وانظر ما فعلت وما فعل الله بك، وأخبرته عن العقرب وأريته الأفعى الميتة، فاضطرب الشاب ووقع على قدميّ ذي النون تائباً.

«إنك تدعوني فأُولّي عنك وتتحبب إليّ فأتبغض إليك» و«تتودد إليّ فلا أقبل منك».

أما الرحمة الرحيمية:

فهي خاصة خاصة لعبادة فقط، وليس لغير المؤمنين منها نصيب: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[1] أي إن رحمة رحيميته مختصة بعبادة المؤمنين.

(١) سورة الأحزاب: آية ٤٣.

وهـذه الرّحمـة وإن كانـت أخصّ مـن رحمـة الله الرحمانية التي تشمـل كل الموجودات، فالرحمة الرحيميـة تشمل بعض البشر إلاّ أنها من حيث النوعية والمقدار تفوق تلك الرحمة، فالرحمة الرحمانية في مقابـل الرحيمية تعتبر محدودة جداً لأن الدنيا وما فيها بالنسبة إلى الآخرة ونعيمها، الذي هو من الرحمة الرحيمية، كالقطرة إلى البحر.

فـي تعبير ورد في الرواية أن رحمـة الله مائة شعبة، واحدة منها في هذه الدنيا، وتسـع وتسعون رحمة تضاف إلى هذه الرحمة لتكون رحمة الله في الآخرة[1].

رحمة الله الرحمانية وإن عمّت وشملت كل شيء، ولكن بما أنها ليس لهـا البعد المعنوي والأزلي الدائـمُ فهي ليست كافية لوحدها بل لا بد أن تكتمل بالرحمة الرحيمية، لذلك يقول القرآن الكريم ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾[2] فرحمـة الله وإن عمت كل شيء ولكن الانتفاع بها لما يبقى في الآخرة يكـون للمتقـين أهل الإيمـان، وإلاَّ فـإن الكفـار والمشركـين يسيئون استخـدام رحمة الله الرحمانية ويشترون سخـط الله وغضبه، فهي فـي الواقـع عذاب لهم وليست رحمة، أي أنهـم يحولون هذه الرحمة بأنفسهم وبها يجرّون النار لأنفسهم.

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: الله رحيم بعباده ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة، وجعل رحمة واحدة منها في الخلق كلهم، فبها يتراحم الناس وترحم الوالدة ولدها وتحنن الأمهات من الحيوانات على أولادها، فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسع وتسعين رحمة فيرحم بها أمة محمد صلى الله عليه وآله، بحار الأنوار: ج٣.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٥٦.

- نماذج من الرحمة للمؤمنين:

الرّحمة الرحيمية التي خص الله بها المؤمنين لها أبواب وطرق كثيرة ولا يمكن إحصاؤها، وأشير بعض الأمثلة عليها.

١- يستفاد من الروايات أن المؤمنين إذا نوى عبادة تكتب له حسنة واحدة وإذا أدَّى تلك العبادة فعشر حسنات قوله تعالى في سورة الأنعام: آية ١٦٠ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أما في الذنب فلا تكتب على النية سيئة، وإذا اقترف السيئة كتبت له سيئة واحدة في صحيفته ذلك قوله ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

٢- من الأبواب الواسعة للرحمة الرحيمية هي التوبة جعلها الله لأهل الإيمان، ليس هناك ذنب لا يغفر، فليس أشدّ من الشرك والكفر شيء ومع ذلك فإن التوبة منهما تقبل، مع العلم أن التوبة من الشرك والكفر تكون بالإيمان بالله ورسوله ويوم الجزاء، وبذلك يصحُّ القول بأن التوبة لأهل الإيمان فقط، فلا بد أن يؤمن ليغفر له كفره أو شركه.

التوبة تنفع إذا كانت قبل الموت، ما دام يأمل بالحياة، أما إذا تيقن الموت فلا معنى للتوبة عندئذٍ لأن التوبة تعني الندم على ما فات والتصميم على عدم العودة إلى الذنب، ومن أشرف على الموت فليست أمامه فرصة لكي يصمم على ترك الذنب فيها، والقرآن الكريم ينص على أن التوبة حال الموت لا تنفع قوله تعالى ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ﴾[1].

(١) سورة النساء: آية ١٨.

لكل ذنب توبته، فترك الواجبات توبته أداء الواجبات وقضاء ما فات منها، وارتكاب المحرمات توبته ترك المحرمات والكفارة عنها إذا كان بها كفّارة.

كذلك لا توبة لمن يندم حال الاحتضار حين يرى آثار ذنوبه، فالندم ما كان لمعصية أمر الله إلاّ لرؤية العذاب.

وقد ورد للإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية مناجاة التائبين: «**إلهي أنت الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سميته التوبة، فقلت توبوا إلى الله توبة نصوحاً فما عذر من أغفل عن دخول الباب بعد فتحه**».

نعم، لله الحجة البالغة، فليس لأحد حجة على الله، فإذا قال: غلبتني الشهوة وغرني هواي فيقال له: ألم يكن باب التوبة مفتوحاً لِم لم تتب وتستغفر لتنالك رحمة الله فتطهرك من الذنب؟!

٣- تبديل السيئات حسنات بالتوبة، كما يصرح القرآن الكريم بذلك عمن تاب توبة حقيقية ومن أعماق قلوبهم ويغسلون أدرانهم بالحسرة والألم فيقول تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾[1]، فلا يغفر ذنوبهم فقط بل يثبت بدلها حسنات، ماذا يمكن أن يُقال عن ذلك غير أنها رحمة الباري عز وجل؟

- هَمّ الشيطان أن لا يتوب المؤمن:

ورد في تفسير مجمع البيان وسائر التفاسير في تفسير آية: ﴿ثُمَّ

(١) سورة الفرقان: آية ٧٠.

إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾[1]، يروون حديثاً شريفاً ويذكرون أنه بعد نزول هذه الآية المباركة صاح الشيطان في أرض مكة صيحة ودعى ذريته، فاجتمعوا حوله ووجدوه مضطرباً فسألوه: ما بك؟ قال: نزلت آية بغفران الذنب مهما كان كبيراً ورفعت عن هذه الأمة شروط قبول التوبة التي كانت على عهد الأمم السابقة.

فكل سعينا يذهب هباءً بتوبة المؤمن، والذنب الذي يُرتكب بإغوائنا يغفر، فما الحل؟ فقد دعوتكم للمشورة.

فأبدى كل منهم رأيه، فقال الشيطان الذي اسمه (الخناس): يجب أن نسعى لأن نحول بينه وبين التوبة، فاستحسن الجميع رأيه ووافقوه.

فالهدف هو أن يُصرف الإنسان عن التوبة إذا فكّر فيها فيغريه بتسويف التوبة بأن يقول أنا لا زلتُ شاباً وبصحة وعافية وأمامي وقت طويل وفرصة كافية للتوبة ثم فجأة يأتيه الأجل فيموت وهو لم يتب بعد.

ولكن الإنسان العاقل الكيّس لا يُعطي أي فرصة لوسوسة الشيطان بل يُعاجل بالتوبة كما أمره الله سبحانه في كتابه المجيد ﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[2]، لأنه لا يعرف متى يأتيه

(١) سورة النحل: آية ١١٩.
(٢) سورة آل عمران: آية ١٣٣.

الأجل، لعلّ إن لم يتب الآن فلن يوفق للتوبة وتجتمع عليه الذنوب حتى تُذهب بإيمانه[1]، ولا نجاة له بعد ذلك.

فاطلب من اللّٰه أولاً أن يوفقك لتوبة قلب حقيقية فلا بُد من عونه ولطفه لكي تتوب توبة حقيقية.

(١) ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السُّوأى أن كذّبوا بآيات اللّٰه وكانوا بها يستهزئون﴾ سورة الروم: آية ١٠.

أنهـــار البسملـــة

فـــي بعض الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال لما أُسري بي إلى السماء وعرض عليّ جميع الجنان رأيت فيها أربعة أنهار من ماء غير أسن ونهر من لبن ونهر من خمر ونهر من عسل كما قال: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى﴾[1]، فقلت لجبرائيل عليه السلام: من أين تجيء هذه الأنهار؟ وإلى أين تذهب؟ قال جبرائيل عليه السلام: اغمض عينيك يا محمد فغمضت عيني ثم قال: افتح، ففتحت فإذا أنا عند شجرة ورأيت قبة درة بيضاء وله باب من زمرد أخضر، وقفل من ذهب أحمر، لو أن جميع ما في الدنيا من الجن والإنس وضعوا على تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس على جبل والقبة في البحر ورأيت هذه الأنهار الأربعة تجري من تحت هذه القبة فلما أردت أن أرجع قال لي الملك: لم لا تدخل في القبة؟ قلت: كيف أدخل وعلى بابها قفل؟ وكيف أفتَحه؟ قال لي: في يدك مفتاحه، قلت: أين مفتاحه؟ قال: مفتاحه بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت من القفل فقلت: بسم الله فانفتح القفل فدخلت في القبة فرأيت هذه الأنهار تخرج من أربعة أركان القبة فلما أردت الخروج من القبة قال لي: ذلك الملك هل رأيت يا محمد؟ قلت: رأيت. قال: أنظر ثانية، فلما نظرت رأيت مكتوباً على أربعة أركان القبة، بسم الله الرحمن الرحيم، ورأيت نهر الماء يخرج من

(١) سورة محمد: آية ١٥.

ميم بسم الله، ونهر اللبن يخرج من هاء الله، ونهر الخمر يخرج من ميـم الرحمن، ونهر العسل يخرج من ميـم الرحيم، فعلمت أن أصل هذه الأنهار الأربعة من التسمية، فقال الله: يا محمد من ذكرني بهذه الأسمـاء من أمتك من قلب خالص بسم الله، سقيته من هذه الأنهار الأربعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

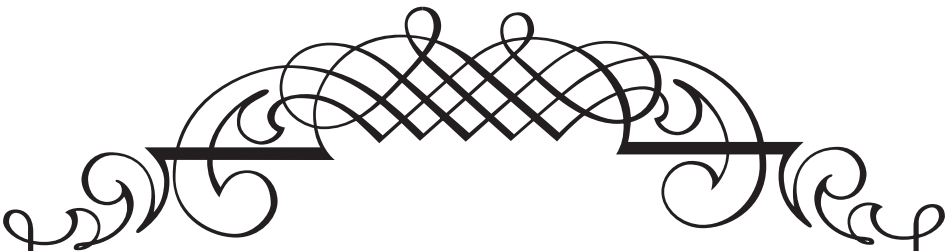

سـورة النـــور

- مدنية.
- عدد آياتها: ٦٤.
- ترتيبها النزولي: ١٠٣.
- ترتيبها في المصحف: ٢٤.
- نزلت بعد سورة النصر.

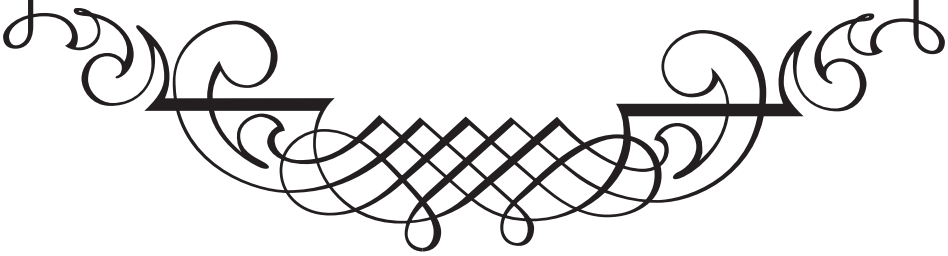

سورة (النور) مدنية
وعدد الآيات ٦٤ آية

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ ١-٣.

ختم الله تبارك وتعالى سورة المؤمنون بأنه لم يخلق الخلق للعبث ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[1] بل للأمر والنهي، لذلك ابتدأت السورة بذكر الأمر والنهي وبيان الشرائع فقال: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

هذه السورة قطعة من القرآن لها بداية ونهاية أنزلها جبرائيل بأمر من الله تعالى وفرضناها وأوجبناها عليكم بالعمل بها وعلى من بعدكم إلى يوم القيامة بما فيها من أحكام شرعية إيجابية «الإتيان بها» وسلبية «الإنتهاء عنها».

ونلاحظ أن هذه الآية بدأت بعبارة ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا ﴾ ثم بعدها جاءت عبارة ﴿ وَفَرَضْنَٰهَا ﴾ لتؤكد أن القضايا المتعلقة بالعفاف قضايا في

(١) سورة المؤمنون: آية ١١٥.

غاية الأهمية على العكس مما يتصور الناس في وقتنا الحاضر من خلال توجههم إلى تسهيل وتبسيط العلاقات الجنسية، والاستخفاف بها والاستهانة بأصول العفاف والتقوى وهذا أحد أسباب تعاسة عالم اليوم.

﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ قد يراد جميع آيات السورة، أو كما ذكر العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان إنّ المراد بها الآيات التي جاءت في وسط السورة التي تشكل عمودها الفقري.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ حتى تتذكروا فتعلموا بما فيها.

ربما أنكم تعلمون الفارق بين «التفكر» و«التذكر» التفكر يكون في الموارد التي يجهل فيها الإنسان قضية ما ولا يعلم شيئاً عنها.

أما التذكر فيكون في المسائل التي تدرك فطرة الإنسان صحتها بشكل تلقائي، ولكن يجب تذكيره بها ولفت نظره إليها، كأنه يريد أن يقول له إننا نلفت انتباهك إلى هذه الأمور، وهي أمور لو أنك فكّرت فيها لوقفت على حقيقتها إلاّ أننا ننبهك إليها ونذكرك بها.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ ذكر أول حكم وهو حكم الزنا قال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ يقصد بالزانية والزاني هم النسوة المشهورات بالزنا ورجال مشهورون بالزنا، شهروا به وعرفوا به.

لذلك لم يُسمّ الله الزاني مؤمناً ولا الزانية مؤمنة لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن فإنه إذا فعل ذلك خلع عنه الإيمان كخلع القميص**».

في أول الإسلام قال الله تعالى ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦﴾[1].

فلما كثر المسلمون وقوي الإسلام واستوحشوا أمور الجاهلية أنزل الله تعالى ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾ فنسخت هذه الآية وهي آية الحبس والأذى.

الزنا[2] من الجرائم الحدود أي من الجرائم التي وضع الله سبحانه وتعالى حداً لها، والحدّ هو العقوبة المقررة والمقدرة شرعاً لا يجوز للحاكم أن يعفو عنها أو يخفف منها. وتشمل الجرائم الحدود الزنا والسرقة والقذف وشرب الخمر والردة وغيرها.

- جريمة الزنا:

في نظر الإسلام جريمة اجتماعية كبيرة ولهذا فقد رتب الإسلام عليها عقاباً رادعاً وشديداً حتى لا يندفع الأفراد وراء شهواتهم وغرائزهم، الحقيقة إن الإسلام لم يعتمد لمنع جريمة الزنا على مجرد العقوبة وإنما اعتمدت في الدرجة الأولى على التربية الخلقية

(١) سورة النساء: آية ١٦.

(٢) الزنا هو وطء المرأة في الفرج من غير عقد شرعي، وليس كل وطء حرام زنا لأن الوطء في الحيض والنفاس حرام ولا يكون زنا.

والإستقامة السلوكية فالزنا ليس هو جريمة دينية فحسب ولكنه رذيلة إجتماعية لأنه يُسيء إلى المجتمع الذي ينتمي إليه الإنسان، وإذا كانت الغريزة الجنسية غريزة طبيعية لدى الإنسان فعليه أن يستخدمها في الطريق الصحيح السليم بالزواج، فالزواج هي الطريقة الوحيدة لتلبية نداء الغريزة.

- حدّ الزنا:

هو إدخال الرجل البالغ العاقل ذكره في فرج الأنثى قُبلا أو دُبراً من غير عقد، عالماً بالتحريم مختاراً في فعله، ويتحقق الزنا من المرأة كذلك عالمه بالتحريم مختارة في فعلها، وإذا ثبت الزنا في الرجل والمرأة وجب الحدّ عليهما بإقرارهما به أربع مرات مع الكمال والاختيار والحرية.

ويثبت الزنا بالبيّنة على الزاني والزانية بشهادة أربع شهود عدول أو ثلاث رجال وامرأتان أو رجلان وأربع نسوة.

وإذا شهد به أقل من النصاب المذكور وجب الحدّ على الشاهد واحداً كان أو أكثر.

ويسقط الحدّ بالتوبة من الزاني والزانية بشرط أن تكون قبل قيام البيّنة، أما إذا ثبت الزنا وجب الحدّ.

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾[1].

(١) عن الإمام الباقر عليه السلام قال: يضرب الرجل الحدّ قائماً والمرأة قاعدة ويضرب كلّ عضو ويترك الرأس والمذاكير، أما الإمام موسى الكاظم عليه السلام عندما سُئل عن الزاني كيف يجلد؟ قال عليه السلام: أشدّ الجلد، فقيل فوق الثياب؟ قال عليه السلام: لا بل يُجرد.

المـرأة والرجل اللذان تحقق منهما الزنا فاضربوا كل واحد منهما مائـة سـوط وهو حدّ الزنـا والعلة في ذلك ما روي عـن أبي عبدالله عليه السلام قـال: «**الزنـا أشـر من شـرب الخمـر**». وعندما سألـه السائل سبب ذلك قـال عليه السلام: «**لتضييعه النطفة ولوضعـه إياها في غير موضعها الذي أمر الله به**».

أمـا أبا الحسن الرضا عليه السلام قال فـي مسائله: علة ضرب الزاني علـى جسده بأشـد الضرب لمباشـرة الزنا واستلـذاذ الجسد كله به فجعل الضرب عقوبة له وعِبرة لغيره وهو أعظم الجنايات. أما سبب تقـديم كلمة «الزانية» على «الـزاني» لأن الزنا منهـن ولكون الشهوة فيهن أقوى.

﴿ فَٱجۡلِدُواْ ﴾ هـذا الخطاب إلى النبـي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام ومن ينوب عنهم لأنه ليس لأحد أن يقيم الحدود إلاّ الأئمة ومن ينوب عنهم.

﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ﴾ إن كنتـم تصدّقـون بـالله وتقرّون بالبعـث والنشور فلا تأخذكم بهمـا رحمة تمنعكم من إقامة الحدود عليهما، فتعطلوا الحدود (فيه تأكيد للنهي).

وقيـل بمعنى: لا تأخذكم بهما رأفة[1] تمنـع من الجلد الشديد ولا تخففوا عليهما هذه الرأفة تؤدي إلى الفساد وإلى انحطاط المجتمع.

فالآيـة تضع الإيمان بالله يوم الحسـاب مقابل الرأفة ساعة إقامة

(١) الرأفة: الرحمة والتحنن والتعطف وقد قيل البعض الرأفة هي المحبة في دفع الضرر.

الحدّ عليهمـا لأن أداء الأحكام الإلهية من غير تأثر بالعواطف دليل على صدق الإيمان بالمبدأ والمعاد، وفرض اللّه الأحكام وإقامتها تُشعر الإنسان بالمسؤولية إزاء كل مخالفة.

روي عـن رسول اللّه ﷺ قال: «**يؤتى بوالٍ نقص من الحدّ سوطاً فيقـال له: لم فعلت ذلك؟ فيقول: رحمـة لعبادك، فيقال له: أنت أرحم بهم منّي؟! فيؤمر به إلى النار، ويؤتى بمن زاد سوطاً فيقال لـه: لم فعلـت ذلك؟ فيقـول: لينتهوا عـن معاصيك فيقـول: أنت أحكم به مني؟! فيؤمر به إلى النار**».

- ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

أوجـب اللّه سبحانه حضور عـدد من المؤمنين فـي ساحة معاقبة الزناة ليتعظ الناس بما يرون من إقامة حكم اللّه العادل على المذنبين. ولإتمام التطهير يجب أن يكون العقاب علناً مثلما كان الذنب علناً.

- **إثبات جريمة الزنا:**

١- **الشهـادة:** يشـترط أن تُصدر مـن أربعة شهـود[١] توفرت في كل منهـم شروط الشهادة وهي أن يكـون بالغ عاقل عادل واعياً، كما يشـترط أن يكون قـد رأى الجريمة بنفسه بشـكل لا يقبل الشك، فلو تطـرق الشك إلى شهـادة أحد الشهود من حيـث عدالته أو دقته في وصف الحادث فعندئذ لا تقبل شهادته.

(١) سُئل الإمام الرضا عليه السلام عن سبب جعل شهادة أربعة في الزنا وإثنان في سائر الحقوق قال عليه السلام: لشدة حصب المحصن، لأن فيه القتل فجعلت الشهادة فيه مضاعفة مغلظة لِما فيه من قتل نفسه وذهاب نسب ولده ولفساد الميراث.

كذلك يشترط ألا تكون علاقة أحدهم بالمتهم علاقة قرابة أو عداء أو زواج لأنهـا تثير الشك، فـإذا شهد منهم ثلاثة على وقوع الجريمة فلا تقبل شهادتهم ويجب عليهم حدّ القذف وهي ٨٠ جلدة قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾.

٢- **الإقـرار:** أن يقـر الزاني نفسـه مراراً كما أقـر (ماعز) أمام رسـول الله ﷺ جريمـة الزنا وأكدهـذا الإقرار مـراراً وعندها أمر الرسول ﷺ برجمه بشرط أن يكون المقر عاقلاً مختاراً.

٣- **القرائـن:** يثبت الزنا مثل حمل البكر أو من حملت من تزوجت بصبـي لم يبلغ سن الحلم، كذلك مـن ولدت بولد أقل من ستة أشهر من زواجها.

- فراسة أمير المؤمنين علي عليه السلام في حكم حدّ الزنا:

فـي عهد عمر بن الخطـاب أحضر ستة نفر أخـذوا بالزنا، فأمر أن يُقـام على كل واحد منهم الحدّ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام جالساً عند عمر فقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: يا عمر ليس هذا حكمهم.

فقال عمر: فأقم أنت عليهم الحدّ فقدم واحداً منهم فضرب عنقه وقدم الثاني فرجمه وقدم الثالث فضربه الحدّ، وقدم الرابع فضربه نصف الحدّ، وقدم الخامس فعزره، وأطلق السادس.

فتعجـب عمر وتحير الناس، فقال عمر: يا أبا الحسن ستة نفر في قضية واحدة أقمت عليهم خمسـ عقوبات وأطلقت واحداً ليس منها حكم يشبه الآخر؟!

فقال عليه السلام: نعم أما الأول فكان ذمياً زنى بمسلمة فخرج عن ذمته فالحكم فيه السيف، أما الثاني: فرجل محصن زنى فرجمناه، وأما الثالث: فغير محصن حددناه مائة جلدة، أما الرابع فعبد زنى ضربناه نصف الحدّ، أما الخامس فكان منه ذلك الفعل بالشبهة فعزرناه وأدّبناه، أما السادس مجنون مغلوب على عقله سقط عنه التكليف.

بعد بيان حدّ الزنا جاء بيان حكم الزواج في الآية الثالثة: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.

- سبب نزول الآية المباركة:

إن رجلاً من المسلمين استأذن النبي صلى الله عليه وآله في أن يتزوج أمُ مهدون وهي امرأة كانت فاسقة ذات الاعلام ولها راية على بابها تُعرف بها فنزلت الآية الزانية لا ينكحها إلا زان.

توضح هذه الآية الشريفة حكماً شرعياً وأمراً إلهياً يمنع المؤمنين من زواج الزانيات، ويمنع المؤمنات من زواج الزناة لأن الانحرافات الأخلاقية مُعدية كالأمراض المعدية، فضلاً عن أنّ ذلك عارٌ يرفضة المؤمن كما يرفض الأبناء مثل هذا الزواج ولهذا منعه الإسلام ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فهذا نصٌّ على تحريم الزنا والدليل الآخر أحاديث عديدة رويت عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام فُسرت باعتبارها حكماً إلهياً ينص على المنع.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ١٠ ﴾ ٤-١٠.

بعد أن ذكرت الآية السابقة حدّ الزنا، عقبه سبحانه بذكر حدّ القاذف بالزنا، فقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ﴾ أي يقدفون العفيفات من النساء بالفجور والزنا، والمحصنة هي المرأة العفيفة وتسمى محصنة لأنها أحصنت وحفظت نفسها بالعفاف.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ ﴾.

بعدما نصّت الآيات السابقة من عقوبات شديدة للزاني والزانية جاءت الآيات اللاحقة لتوضح كذلك العقوبات الشديدة للذين يرمون المحصنات وهذه العقوبة الشديدة لها بُعدان أحدهما مادّي وهو الجلد ٨٠ جلدة والبعد الآخر معنوي وهو رفض شهادتهم حتى تثبت توبتهم وذلك لمنعهم من تلويث سمعة الطاهرين ولحفظ الشرف والطهارة وهذا إن دلّ، دلّ على الأهمية البالغة التي يمنحها الإسلام لشرف المرأة والرجل المؤمن الطاهر.

جـاء في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا اتهم المؤمن أخاه ذاب الإيمان من قلبه كما يذوب الملح في الماء**»، فمعنى الآية الشريفة إنّ الذين يقذفون المحصنات الحافظات على أنفسهم بالعفاف بالزنا ثم لم يقيموا أربعة من الشهود على صدقهم في قذفهم:

أ- فاجلدوهم[1] ثمانين جلدة على قذفهم.

ب- وهم فاسقون لا تقبلوا شهادتهم على شيء أبداً.

فالآية مطلقة تشمل من القاذف الذكر والأنثى والحر والعبد.

- ما معنى القذف؟

هـو أن يرمـي شخص أخاً له بتهمـة معينة في نسبـه أو سلوكه أو أخلاقه بقصد الإساءة له وتشويه سمعته وتحقيره حتى يرضي عامل الحقد في نفسه.

عـن الإمام الصـادق عليه السلام قال: «**قضـى أمير المؤمنـين عليه السلام أنّ الفريـة ثـلاث يعنـي ثلاث وجـوه إذا رمى الرجل بالزنـى وإذا قال أمّه زانية وإذا دعى لغير أبيه فذلك فيه حدّ ثمانون**».

وعنه عليه السلام في رجل قال لرجل: «**يا بن الفاعلة يعني الزّنا**».

فقال إن كانت أمّه حيّة شاهدة ثم جاءت تطلب حقّها ضرب ثمانين جلدة وإن كانت غائبة انتظر بها حتى تقدم فتطلب حقّها وإن كانت قد ماتت ولم يعلم منها إلاّ خيراً ضرب المفتري عليها الحدّ ثمانين جلدة.

(١) عند جلد القاذف لا يُجرد من ثيابه كما يجرد الزاني، ويضرب ضرباً متوسطاً ويُشهّر حتى تتجنب شهادته.

- ما هي عقوبة القذف؟

إذا قذف شخص ما آخر بالزنا وقام المقذوف بإقامة الدعوى ضد القاذف فعندئذ يكلف القاذف بإقامة الدليل على دعواه، والدليل هو يأتي بأربعة شهداء يشهدون على صدق ما أدّعاه، فإذا عجز عن إقامة الدليل على صحة دعواه فعندئذ يعاقب بعقوبتين: الجلد وهي ٨٠ جلدة وهذا الحق ثابت ولا يقبل العفو من الحاكم أو القاضي.

عندما سُئل الإمام أبا الحسن الرضا عليه السلام عن علة ضرب القاذف ثمانين جلدة قال عليه السلام: لأن في القذف نفي الولد وقطع النسل وذهاب النسل. والعقوبة الثانية هو عدم قبول شهادته أبداً لأنه كاذب والكاذب لا تقبل شهادته وبراءة الله سبحانه من الإيمان قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾[1] أي جعله الله منافقاً قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[2] علماً إن عقوبة القذف تطبق على الكل ذكر وأنثى بالغ عاقل بثمانين جلدة أما إذا كان أحدهما (القاذف أو المقذوف به) غلاماً أو جارية أو مجنوناً لم يُحدّ أي لم يطبق عليه العقوبة.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الزاني أشد ضرباً من شارب الخمر، وشرب الخمر أشد ضرباً من القاذف والقاذف أشد ضرباً من التعزير**».

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ جاءت كلمة

(١) سورة السجدة: آية ١٨.
(٢) سورة التوبة: آية ٦٧.

الإصلاح بعد التوبة ذلك لأن شرط قبول التوبة أن يصلح الإنسان ما أفسده بذنوبه، والله سبحانه يؤكد لفئة التائبين بأن مغفرته ورحمته سوف تشملهم إن هم رجعوا إلى طريق الحق بعد الانحراف وتداركوا ما فاتهم بالجهد المخلص والعمل البناء. وإصلاح ما أفسدوه بذنوبهم، فإذا اتهموا المحصنات بالفاحشة وسقط شرفهن بذلك، وجب عليهم الإعلان عن كذبهم والاستعداد لإجراء الحدّ عليهم لإعادة الاعتبار إليهن.

عندما سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن هذه الآية: كيف تُعرف توبته؟ قال عليه السلام: يكذّب نفسه على رؤوس الخلائق حين يضرب ويستغفر ربه فإذا فعل ذلك فقد ظهرت توبته.

وفي رواية أخرى عندما سُئل عليه السلام عن رجل يقذف الرجل فيجلد حدّاً ثم يتوب ولا نعلم منه إلاّ خيراً أتجوز شهادته؟!

قال عليه السلام: نعم.

هكذا يشجع الله سبحانه عباده على التوبة والرجوع إليه حينما يعدّهم بالمغفرة والرحمة إذا ما تابوا وأصلحوا.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧ ﴾.

- سبب نزول هذه الآية:

إن سعد بن عبادة (سيد الأنصار) من الخزرج قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحضور من الأصحاب يا رسول الله: إذا كان القذف يؤدي إلى

عقوبة ثمانين جلدة إن لم تثبت التهمة، فماذا أعمل أنا إن دخلت منزلي ورأيت بعيني فاسقاً يتلبس بالمنكر مع زوجتي؟! ولو تركته لآتي بأربعة شهود لأنهى عمله ووليّ، وإن قتلته فلا يقبل مني ذلك دون شهود فيُقضى مني، ولو جئتكم وأخبرتكم بما شاهدته شاكياً على زوجتي لضُربتُ ثمانين جلدة؟ عندما شعر الرسول ﷺ هذا الكلام احتجاج على حكم إلهي.

فقال النبي ﷺ للأنصار هل سمعتم ما قال؟ قالوا: لا تلمه فإنه رجل غيور، فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، والله إني أعرف أن هذا من الله وأنها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرتك.

فقال النبي ﷺ : فإن الله يأبى إلا ذاك.

فقال: صدق الله ورسوله، وبعد لحظات جاء ابن عم سعد فقال: هلال بن أمية قد رأى رجلاً مع امرأته ليلاً، فجاء شاكياً إلى الرسول ﷺ فقال: إني جئت أهلي عشاءً فوجدت معها رجلاً رأيته بعيني وسمعته بأذني فكره الرسول ﷺ حتى ظهر ذلك على وجهه فقال هلال: إني لأرى الكراهية في وجهك والله يعلم إني صادق وإني لأرجو أن يجعل الله لي فرجاً.

فهمّ رسول الله بضربه، واجتمعت الأنصار وقالوا: ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال وتبطل شهادته؟ فنزل الوحي وأمسكوا عن الكلام حين عرفوا أن الوحي قد نزل، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ الآية، فقال الرسول ﷺ : إبشر يا هلال فإن الله تعالى قد جعل فرجاً.

فقال هلال: قد كنت أرجو ذاك من الله تعالى، فعلم المسلمون الحل السليم لهذه المشكلة.

- نستنتج من ذلك:

أ- أن حدّ القذف لا يُطبق على زوج يتّهم زوجته بممارسة الزنا مع رجل آخر.

ب- تقبل شهادته لوحده بشرط أن يُشهد أربع مرات على صدق أدّعائه بأن يُعيد هذه العبارة أربع مرات «**أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميتها من الزنا**» لإثبات إدعائه من جهة، وليرفع عن نفسه حدّ القذف من جهة أخرى، ويقول في الخامسة «**لعنة الله عليّ إن كنت من الكاذبين**» وهذا ما يسمى باللعان[1].

هنا تقف المرأة على مفترق طريقين فإما أن تقرّ بالتهمة التي وجهها إليها زوجها أو تنكرها هذا ما توضحه الآيات اللاحقة ﴿وَيَدْرَؤُا[2] عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ ٨-١٠.

سبق وتكلمنا أن الإسلام شرع اللعان حلاً للذين يقذفون أزواجهم بتهمة الزنا كبديل للشهود عند هذه اللحظة يُقال للمرأة أنّ زوجك قد لاعنك فما هو قولك أنت؟

(١) اللعان: هو أن يشهد الزوج أربع شهادات بزنا زوجته تحتسب كل واحدة منها بمثابة شاهد ثم يستنزل في المرة الخامسة لعنة الله عليه إن كان كاذباً.
(٢) يدرأ عنها: أي يدفع عنها.

فـإذا أقـرّت أقيم عليها الحـدّ، وإذا سكتـت ولم تدافع عن نفسها فهذا بحكم الإقرار ولكن يوضع أمامها خيار آخر فيقال لها:

أنـت أيضـاً تقسمين مثل زوجك فـإذا رفضت القيـام بهذا العمل تكون فعلاً زنت فتعاقب وإذا أرادت الدفاع عن نفسها فما هو العمل؟ والطرفان تلاعنان فما هو حكم الإسلام في مثل هذه الحالة؟

رأى الإسـلام هـو مـا دام الأمر قد بلغ هذا الحـد فيجب التفريق بينهما ولا داعي للطلاق لأن هذا لعمل بحكم الطلاق تنفسخ العلاقة الزوجية بينهما إلى الأبد وهذا يُسمى بالفقه باللعان أو الملاعنة.

وقـد حدثت هذه الحادثة في زمن رسول الله ﷺ قصة هلال بن أُميـة الذي شكى زوجته بالزنا وأجـري عليهما اللعان، فقال الرسول ﷺ: أنما من هذه الساعة لستما زوجا لبعضكما.

ثـم جاء فـي الآيـة التاليـة: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾.

لـولا فضل الله عليكم لأنـزل أحكاماً أشدّ، فالأحـكام التي أنزلها الله سبحانـه ليسـت شديدة حتى تعلموا إنها مـن فضل الله ورحمته ومظهر قبوله التوبة وهذا ما تقتضيه مصلحتكم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ [1] عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾

١١-١٨.

- سبب النزول:

إن العامة روت أنها نزلت في عايشة وما رميت به في غزاة بني المصطلق: إنّ عائشة ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق وكانت قد خرجت لقضاء حاجة فرجعت طالبة له وحمل هودجها على بعيرها ظنّاً منهم أنها فيها فلمّا عادت إلى الموضع وجدتهم قد رحلوا وكان صفوان بن المعطل السلمي الذكواني من وراء الجيش فلمّا وصل إلى ذلك الموضع وعرفها أناخ بعيره حتى ركبته وهو يسوقه حتى أتى الجيش وقد نزلوا في قائم الظهيرة هذا المشهد دفع البعض لترويج

(١) الإفك: الكذب العظيم.

شائعة وكان عبدالله بن أبي سلول يشيع هذه التهمة أكثر من الآخرين وعند بلوغهم المدينة انتشرت هذه الشائعة في المدينة ولم تكن تعرف شيئاً بسبب مرضها وكان النبي ﷺ يأتي لزيارة عائشة إلاّ إنها لم تشعر بمحبته لها كما هي تقول عائشة ولم تكن تعرف السبب وبعده شُفيت عرفت من بعض النساء المقربات خبر الشائعة التي روّجها المنافقون فاشتد مرضها مما دفعها الذهاب إلى منزل والدها.

أما رسول الله ﷺ استشار علي بن أبي طالب عليه السلام وأسامة بن زيد فما يعمل إزاء هذه الأقوال؟ فأجاب أسامة: يا رسول الله، إنها أهلك ولم نجد منها إلاّ خيراً (فلا تعبأ بكلام الناس).

وأما عليّ عليه السلام: يا رسول الله، لم يعسر الله عليك الأمر، فالنساء كثيرات، تحقق من جاريتها؟

فاستدعى النبي ﷺ جاريتها بُريرة وسألها: هل شاهدت من عائشة ما يثير الشك؟

فأجابت: أقسم الله الذي بعثك بالحق أنّي لم أرَ منها أي عمل منكر.

وعندها صعد الرسول ﷺ المنبر وتوجّه إلى المسلمين فقال: «يا معشر المسلمين إذا آذاني رجل (يقصد عبدالله بن أبي سلول) من أهلي التي لم أجد فيها إلاّ الطهارة، فهل أنا معذور إن عاقبته؟ وإذا كان العقاب يعيب رجلاً لم أر منه أية إساءة، فما العمل؟

فنهض سعد بن معاذ الأنصاري (وكان سيد الأوس) قال: لك الحق ولو كان من قبيلة الأوس لضربت عنقه، ولكنه من إخواتنا الخزرج، فأمرنا بما ترى، عندها غلب التعصب القبلي على سعد بن عبادة

سيـد الخزرج: كادت قبيلتا الأوس والخزرج تشتبكان في صراع وتقع معركـة بينهما والنبي صلى الله عليه وآله واقف على المنبر، وأخيراً تمكن النبي صلى الله عليه وآله من إخماد نار الفتنة.

أمـا سبـب النزول الثـاني: إنّ الخاصة رووا أنّهـا نزلت في مارية القبطية وما رمتها به عائشة:

روي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: لما هلك إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله حـزن عليـه رسول الله صلى الله عليه وآله حزنـاً شديداً فقالت لـه عائشة: ما الـذي يحزنك عليه فما هو إلاّ ابن جريـح فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وأمـره بقتله فذهب علـيّ عليه السلام إليه ومعه السيف وكان جريح القبطي في حايط فضرب على باب البستان فأقبل إليه جريح ليفتح له الباب فلمّا رأى علياً عرف في وجهه الغضب فأدبر راجعاً ولم يفتح بباب البستان فوثب عليّ على الحآئط ونزل إلى البستان واتبعه ووليّ جريح مدبراً فلمّا خشي أن يرهقه صعد في نخلة وصعد عليّ في أثره فلمّـا دنـا منه رمى بنفسه من فوق النخلة فبـدت عورته فإذا ليس له ما للرّجال ولا له ما للنساء فانصرف عليّ إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: يا رسـول الله إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالمسمار المحمي في الوبر أمضـى على ذلك أم أثبّت، قال: لا بل تثّبت، قال: والذي بعثك بالحق مالـه ما للرجال وما له ما للنساء. فقال: الحمد لله الذي صرف عنّا السوء أهل البيت.

هـذه الروايـة أوردهـا السيد هاشـم البحراني في كتـاب تفسير البرهان بعبارة أخـرى، كذلك أوردها القمّي بعبارة أخرى في سورة

الحجـرات عند قوله تعـالى ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[1] فأتى به رسـول الله ﷺ فقال له: ما شأنك يا جريح؟! فقال: يا رسول الله إنّ القبط يحبّون حشمهم ومن يدخل إلى أهاليهم والقبطيون لا يأنسون إلاّ بالقبطيين فبعثني أبوها لأدخل إليها وأخدمها وأونسها.

لعـل رسول الله ﷺ بعث عليـاً إلى جريح ليظهـر الحق ويصرف السوء وكان قد علم أنّه لا يقتله ولم يكن يأمر بقتله بمجرّد قول عائشة ولو كانت عزيمة من الرسول ﷺ القتل ما رجع عليّ عليه حتى يقتله.

إذن مسألة الإفك هي قضية هامة تتعلق بحدث تاريخي هو إلصاق تهمة الزنا بزوجة الرسول ﷺ إلا إن السياق يؤكد على ضرورة وقف أمثـال هـذه التهمـة التي تشيـع في المجتمـع والوقوف فـي وجه من يختلقونها أو يروجون لها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾.

العصبة[2] التي اتهمت زوجة رسول الله ﷺ كان هدفها الأساسي هـو التنقيص من كرامة الرسـول ﷺ مما آلم المؤمنـين من توجيه هـذه التهمـة إلى شخصيـة متطهرة، فالقـرآن الكريم طمـأن وهدّأ روع المؤمنين قوله تعـالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن العاقبـة سوف تنتهي إلى خـير باعتبارها امتحانـاً للمجتمع المؤمن، فإذا تغلـب المؤمنون على هذا الأمر وأمثالـه، فإنه سيكون مجتمعهم فاضلاً وقادراً على مقاومة الضغوط والمشاكل المختلفة، ثم تعقب هذه الآية بذكر مسألتين:

(١) سورة الحجرات: آية ٦.

(٢) العصبة: هم الذين يتعصبون لبعضهم على أساس المصالح المادية، لا على أساس القيم.

أ- ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ كما يكون الإنسان مسؤولاً عن سلوكياته وتصرفاته فإن مختلقي التهمة ضد الرسول ﷺ سوف يتحملون مسؤولية كلامهم في الدار الدنيا، بكشفهم وتعرية إشاعتهم الباطل، وفي الآخرة بالعذاب الأليم.

ب- ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المقصود به إمام العصبة وهو عبدالله بن أبي سلول الذي يتحمل وزرها بأن له عذاباً عظيماً فهو شيخ المنافقين في عهد رسول الله ﷺ.

ثم تنتقل الآية إلى جانب آخر حيث توجّهت إلى المؤمنين الذين انخدعوا بهذا الحديث فوقعوا تحت تأثير الشائعات فلامتهم بشدة: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ هذا الخطاب لمن سمع عن الإفك فسكت ولم يصدق ولم يكذب، وقيل الخطاب لمن أشاعه.

يجب على المجتمع المؤمن قبل اتخاذ أي موقف، أن يعرف خلفيات التهمة بالإفك حيث أنها لا تقتصر على شخص الرسول ﷺ فحسب، بل تعيبهم أيضاً، وتهدد سلامة مجتمعهم. فهؤلاء لا يهدفون التنقيص من كرامة الرسول فحسب بل يريدون أيضاً التنقيص من شرف الأمة الإسلامية عن طريق بث التهم الباطلة ضد قيادتها، خصوصاً إذا تجاوب المؤمنون معهم فيظنون بزوجة الرسول ﷺ سوءاً، فهل يبقى بعد ذلك شرف سليم في الأمة لا تناله ألسنة هؤلاء المنافقين؟!

الله سبحانه يدعو المجتمع أن يظن بنفسه خيراً لأن التهم من قِبل المنافقين تستهدف سلامة المجتمع المعنوية فعلى المجتمع يتوجه جدياً ضد هذه التهم ويطالب المتهمين بالأدلة الدامغة.

الإسلام يأمرنا بمواجهة هؤلاء الأشخاص أمراً وجوبياً معتبراً كفريضة إسلامية حيث يقول: ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ لإثبات ما اختلقوه ضد سلامة المجتمع وقيادته.

﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ لأن كلامهم عار عن أي دليل حتى لو كانوا صادقين، وإن نشر الفكرة التي لا دليل عليها ولو كان عن سذاجة أو حسن ظن خطأ كبير.

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم فإن الله فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة**»[1].

لنشر تهمة لا دليل عليها يؤدي إلى نفس العاقبة التي يسعى إليها الكاذب.

ويؤكد القرآن ضخامة هذا الخطأ، فالكلمة البسيطة التي تطلقها أفواه الكثير من الناس دون علم تكون وراءها مخاطر كبيرة جداً، ولولا أن الله رحيم بهم أخذهم بعذاب عظيم.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

وقيل في معنى الآية الشريفة أن الله سبحانه جعل لنبيّه ووليّه فضلاً على العباد فالرحمة والفضل هي محمد صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام لأنهما السبب في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

(١) نهج البلاغة، حكمة: ٣٨٢.

وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾[1] فالرحمة هي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والفضل هو عليّ عليه السلام ثم جعلها للنبي ولوليّه نعمتين ظاهرة وهي النبوة، وباطنة وهي الولاية. النبوة ظاهرة لأنها للأديان والدين ظاهر، والولاية باطنة لأنها للإيمان والإيمان باطن.

﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴾.

يرويه بعضكم عن بعض وتقبلونه من غير دليل وتظنون أن ذلك سهل لا إثم فيه ولكن في الحقيقة هو عند الله عظيم في الوزر لأنه كذب وافتراء وهتك عرض، وإشاعة فاحشة، وكم تمسنا هذه الآية الكريمة في الصميم فأكثرنا يقول ما يسمع ولا يعلم أنه ضد نفسه أو دينه أو مجتمعه أم لا، فيجب أن يكون الإنسان ناطقاً عن علمه وتثبته لا عن نقله من الآخرين كل ما يقولون.

قال الإمام الحسين عليه السلام يوماً لابن عباس: لا تتكلّمنّ فيما لا يعنيك فإني أخاف عليك الوزر، ولا تتكلمنّ فيما يعنيك حتى ترى للكلام موضعاً.

فالقضية هنا تخصّ كرامة المسلمين وفي هذا المورد بالخصوص يمسّ بكرامة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلماذا حينما سمعتموه لم تقولوا لا يحق لنا الخوض في هذا الحديث؟!

﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا ﴾ ولا يقتصر الموقف

(١) سورة التوبة: اية ٥٩.

عنـد حدّ الامتناع عن الكلام، بـل لا بدّ من تكذيب الخبر ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ أي هـذا كـذب وزور عظيم عقابـه، وقيل: معناه ننزهك ربنا من أن نعصيك بهذه المعصية لأن ليس بسيطاً أن ينسب الإنسـان للآخرين تهمة الإفك فهذا بهتان مـا لم يقم عليه دليل، بل إن المتهـم بريء حتـى تثبت إدانته، وكذلك القـذف متهم حتى تثبت صحته.

ثـم وعظ سبحانـه الذين خاضوا في الإفـك فقال: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي لا تعـودوا تتأثروا بالاعلام والشائعـات إن كنتم مؤمنين حقاً، وكأنه يخاطب الجميع مع أن الذي جـاء بالإفك مجموعة صغيرة منهم، وهذا مـا يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ وذلـك ليشعـر المجتمـع المؤمن بأكمله أنه المسؤول لأنـه سمح لهذه العُصبة بالانتشار في وسطه ولم يردها من حيث أتت.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

الله سبحانه يعلم بمصالحكم فيرشدكم لِما فيه سعادتكم بحكمته البالغـة لأن الله سبحانـه حكيـم فيما يفعلـه لا يضع الشـيء إلاّ في موضعه ويعلم بكل شيء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ ١٩-٢١.

سبق وذكرنا إن القرآن يؤكد على وجوب تطهير الأجواء الإسلامية من التهم والشائعات والافتراء ووأد كل ما تسمعونه طالما لم يبلغ حدّ اليقين القطعي لأن أصحاب ذوي النفوس المريضة المبتلين بالعقد النفسية هم الذين يسعون لبث الشائعات المختلفة لينتقموا من المجتمع.

وإشاعة الفاحشة تتحقق بمجرد نقل الإنسان ما يسمعه من كلام خبيث إلى الآخرين وهذا ما يحطم جدار الشرف والحياء لدى أبناء المجتمع، بينما الإسلام يريد أن تتوطّد أسس المجتمع الإسلامي على أساس الثقة المتبادلة وحسن الظن والقول الحسن، ولهذا السبب حرّم الغيبة إلى الحدّ الذي جعل القرآن الكريم يقول عنها ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[1] وعلى هذا الأساس يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(١) سورة الحجرات: آية ١٢.

روي عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قلت لـه جعلت فداك الرجل من إخـواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه، فأسأله عن ذلـك فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات، فقال لي يا محمد كـذب سمعك وبصرك عن أخيك فإن شهد عندك خمسون قسامـة وقالوا لك قولاً فصدقه وكذبهم، لا تذيعـن عليه شيئاً تشينه بـه وتهدم به مروتـه فتكون من الذي قال الله في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾.

وقـال الإمام الصادق عليه السلام: «**إن من الغيبـة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه، وأن البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه**».

وقال في حديث آخر:

مـن قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾.

في نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**يـا عبـدالله لا تعجل في عيب أحد بذنبـه، فلعلّه مغفور له، ولا تأمـن على نفسك صغير معصيـة فلعلك معذب عليه، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته مما ابتلى غيره به**».

إذا تمكن الإنسان من ستر عيوب غيره فهو مؤمن حقيقي ومن أهل

النجـاة لأن من يظهر عيـب أخيه المؤمن ولم يسـتره فهو ظالم بحقه وسيطالبـك بحقه يـوم القيامة، والحقيقـة أن أغلبنـا لا تتقيد بهذه الخصلـة الحميدة فمن منّا علم عيب صديقـه ولم يعلنه؟! وأين تلك المـرأة التي عرفت عيوب جارتها وحفظت زلـة لسانها وحفظت عيب جارتها؟

علمـاً مـن لا يستطيع أن يحفظ كلمة في سره فهـو ملعون إلى يوم الديـن والملعون لا عبادة لـه وعليه أن يفعل خيراً حتى يتحاشى الظلم ويخرج من لعنة البارىء ويدخل في جنته.

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ نعـم لهـؤلاء الذين يحبون أن تشيع الفاحشة لهم عذاب فـي الدنيا والآخرة لأن ذنب التهمة وهدر كرامـة الآخريـن من الذنوب التي لا يتغاضـى الله عن المعاقبة عليها حتى في الدار الدنيا كيف؟

فمن يتهم الآخرين بالباطل سيقع هو في نفس هذا المأزق يوماً ما، فقد يأتي شخص مثله ويتهمه بالباطل أو يفتضح أمره وتهدر كرامته بشكل أو آخر.

قـول الإمام الصادق عليه السلام: «**لا تغتب فتُغتـب، ولا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها فإنك كما تدين تدان**».

بالإضافة إلى عذاب الآخرة وهو عذاب أليم كيف؟

عـن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مررت ليلـة أُسرى بي على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟

فقال: هؤلاء يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم.

وعنه ﷺ: يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته فيقول: إلهي ليس هذا كتابي! فإني لا أري فيها طاعتي.

فيقال له: إن ربك لا يضلّ ولا ينسى، ذهب عملك باغتيابك الناس ثم يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه، فيرى فيها طاعات كثيرة فيقول: إلهي ما هذا كتابي! فإني ما عملت هذه الطاعات فيقال: لأن فلاناً إغتابك فدُفِعت حسناته إليك.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

ثم يختم القرآن حديثه الصادق بأن الله عليم بالحقائق وما فيه من سخطه وما يستحق عليه من المعاقبة ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

ثم ذكر فضله ومنّته عليهم فقال:

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ[2] رَّحِيمٞ﴾، لولا أن بعث لكم رسولاً ووفر لكم فرصة الهداية من جهة الوسائل المادية كالحياة الأسرية الفاضلة، والمكسب الحلال وما إلى ذلك من النعم من جهة أخرى لما تخلص من التورط في الجرائم، كان ينبغي أن يصبكم عذاب عظيم بسبب غفلتكم هذه إلا أن الله بفضله ورحمته أمهلكم لتتوبوا وتندموا على ما قلتم.

---

(١) سورة البقرة: آية ٢١٦.

(٢) **رؤوف رحيم**: رؤوف بهم لا يضيع عنده عمل عامل فهم والرأفة أشد الرحمة، وبالرأفة والرحمة يوفر الله تعالى عليهم ما استحقوه من الثواب من غير تضييع شيء منه.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ جاء الخطاب لتذكيرهم بصفة يتصفون بها وهو الإيمان بكل ما أنزل الله من كتبه ورسله وملائكته وتصديق يوم الحساب ولا يكتمل الإيمان إلاّ بولاية أمير المؤمنين عليه السلام فتقول وهي تحذر المؤمنين جميعاً من تأثير الأفكار الشيطانية والشيطان[1] سواء الجني الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم أو الإنس الذي تملأ أبواقه وشبكاته حياتنا اليوم، إنه لا يدعونا إلى الفواحش الظاهرة مرة واحدة، وإنما يستدرجنا إليها خطوة فخطوة في طريق الفساد على هذا النحو ﴿لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾: مصادقة ذوي السمعة السيئة ثم المشاركة في مجالسهم ثم التفكير بارتكاب الذنوب ثم ارتكاب الأعمال المشتبه بها ثم ارتكاب الذنوب الصغيرة ثم الابتلاء بالكبائر فكأن الإنسان يسلّم نفسه لمجرم ليقوده نحو الهاوية «**هذه خطوات الشيطان**».

يحذرنا ربنا اتباع خطوات الشيطان لأنه يأمرنا بالفحشاء[2] والمنكر[3] ومن تبع خطوات الشيطان فليعلم أن الشيطان يسلك به في طريق الغواية والضلال لأنه يدعو إلى ارتكاب القبح والمنكر علماً ابتاع

(١) الشيطان يقصد به كل مخلوق مؤذي ومخرب وفاسد (راجع كتاب النور المبين في تفسير سورة يس ص١٣٩).

(٢) **الفحشاء**: هي أفحش الصفات الرديئة وأفرط في قبحه.

(٣) **المنكر**: مطلق الإثم أي ما أنكره الشرع والعقل.

خطوات الشيطان لا يستلزم الرؤية بالعين بل تحرز رؤيته بالقلب. ما دام الله وفّر للإنسان فضله ورحمته فلماذا يتبع الشيطان؟!

إن الـذي يتبع خطوات الشيطان لا يحقق سعادة الناس وهدايتهم، فكثـير أولئك الـذي حدثـوا أنفسهـم بالوصول إلى الحكـم ومن ثم تحقيق العـدل والحرية للمستضعفين ولكنهـم تورطوا بعدما وصلوا إلى الحكـم في جرائم الإرهاب والذبـح وإشاعة الفاحشة فأصبحوا أفسد ممن سبقهم، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ[1] ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾.

كاد أن يسقـط مجتمعكـم أيهـا المسلمون لولا وجـود الرسول ﷺ معكم ولو وقعت هذه القضية في عصور أخرى وكثرة الإشاعات التي تنتهك أعراض المسلمين فإنكم ستسقطون كما في الحال اليوم، ولولا فضـل الله بتوفيق التوبـة الماحية للذنوب وشرع الحـدود المكفرة لها ولمـا كان أي واحد منك طاهـراً ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ يطهركم بلطفـه من يشـاء ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لأنه يسمـع أصواتهم وأقوالهم ويعلـم أحوالهـم ونياتهم وهـذه دلالة علـى أن الله سبحانه يريد من خلقه خلاف ما يريده الشيطان.

إذن الفضـل والرحمـة[2] الإلهية ينقذان الإنسـان من الانحطاط والانحـراف من الذنوب جميعاً، فالله سبحانه منحه العقل ولطف به فأرسل إليه الرسل ويسّر له سُبل الارتقاء والاهتداء.

(١) **فضل الله:** هو الإعطاء الزائد، فمثلاً: من كان له مائة دينار وخسر عشرة دنانير، إن أعطيته خمسة عشر دينار كانت العشرة رحمة والخمسة فضل.

(٢) **الرحمة:** يراد منها ستر الذنب، والترحم يجبر المنقصة.

﴿ وَلَا يَأْتَلِ [١] أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ [٢] مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ [٣] أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ٢٢.

- سبب النزول:

كان بعض أغنياء المسلمين أصحاب الثروة ويقدمون العون والمساعدات للمهاجرين والمساكين وأقربائهم مساعدات من الأموال ولكن بعدما وقعت حادثة الإفك حلف المسلمون أصحاب الثرة أن يقاطعوا كل المشتركين فيها مقاطعة شاملة لا يزوجونهم ولا يعطونهم من المال شيئاً ولا يدعونهم يحضرون مساجدهم ولا...الخ، وهذا ما يطمع إليه الأعداء أن يروا المجتمع المؤمن ممزق ومتفكك وضعيف لذلك نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن تطبيق قرار المقاطعة ولو كانوا متورطين في جريمة الإفك.

﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ هذا أمر من الله تعالى لمرادين بالآية بالعفو عمن أساء إليهم وعدم معاقبتهم على ما مضى وأن يصفحوا عنهم حتى تعود اللحمة إلى المجتمع وبناء كيان جديد يقوم على أساسها.

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فعلاً تعبير لطيف إن دلّ دلّ على الأسلوب الذي يستخدمه الإسلام وينتهجه وهو المحبة في أعلى درجاته ولكن في الموضع المناسب الصحيح.

---

(١) **يأتل:** يحلف.

(٢) **أولوا الفضل:** أصحاب الأموال والثروة التي حصلوا عليها من سبل مشروعة.

(٣) **السعة:** الأغنياء.

تقول الآيــة الشريفة: أيها المؤمن أيهــا الإنسان فاليصفح بعضكم عن بعض لأنكم مذنبون وترجون أن يصفح الله عنكم، فيجب عليكم أن تعاملــوا عباد الله بمثل ما ترجونه مــن الله ولا تستخدموا أسلوب الشــدة لأنه من المحتمل معالجــة المذنبين عن طريــق الإحسان فإذا تعــذر ذلك ممكن استخــدام أسلوب الشدة، وهــذا تشجيع المسلمين وترغيبهم في العفو والصفح، فعلاً بادر المسلمون فور نزول هذه الآية الكريمة قائلين عفونا وصفحنا أملاً في غفران الله.

﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ ﴾ للذنوب ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بعباده، فتخلقوا بأخلاقه وتأدبوا بآدابه واغفروا لمن أساء يغفر الله لكم.

- من قصص العفو:

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾[1].

وقال إعرابي: يا رسول الله من يحاسب يوم القيامة؟

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: الله عز وجل.

قال الإعرابي: نجونا ورب الكعبة.

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: وكيف ذلك يا إعرابي؟

قال الإعرابي: لأن الكريم إذا قدر عفا.

قــال الإمــام الصادق عليه السلام: أعف عمّن ظلمــك كما أنك تحب أن يُعفى عنك فاعتبر بعفو الله عنك .

(١) سورة النساء: آية ٩٩.

- **قصة:**

كان المرحوم الحاج الشيخ مهدي يسكن أطراف مدينة قم وكان صاحب كرامات باهرة ومقامات عالية، ومن جملة كراماته أنه لو وضع إصبعة أو خاتمه على مكان لدغ الأفعى أو العقرب يسكن الألم ويذهب السم فوراً ويشفي المريض وهذا الموضوع تناقله العلماء وأعيان قم المقدسة.

ونقل أنه سافر المرحوم الشيخ مهدي إلى أصفهان وعندما أراد الرجوع إلى قم أراد أن يركب السيارة فامتنع السائق تحت تأثير جور رضا خان أن يركبه السيارة.

وقال: أعتذر من ركوب رجال الدين في السيارة، وأخيراً وبعد وساطة مدير الكراج اقتنع صاحب السيارة أن يركب الشيخ مهدي وتحركت السيارة أثناء الطريق حدث عطل للسيارة فصاح السائق بصوت عالٍ قائلاً:

ألم أقل بأن هذا الشيخ لا يصعد السيارة، أرأيتم كيف صحّ قولي إن السيارة قد أصابها العطل إثر صعود هذا الشيخ، وتجاوز هذا السائق الحد أمام أنظار المسافرين وأخذ باللوم على الشيخ، فتفرق المسافرين في أطراف الجادة، والشيخ مع بعض مريديه جلسوا في جهة أخرى.

وفي هذه الأثناء قصد السائق مكاناً ليقضي حاجته فسُمع صراخه وهو يقول: اسعفوني اسعفوني، فهرع إليه الناس ليروا ما الذي جرى له، وإذا أفعى قد لدغت رجله، وقد عرف السائق حينذاك

أن هـذا البـلاء الذي لحقه كان مـن جراء إهانتـه لشخصية الحاج الشيـخ مهدي، وحيث لم يكن في تلك الصحراء وسيلة للعلاج وموته أصبـح حتمياً، قال للذين اجتمعوا حوله: قولـوا للشيخ أن يعفوا عني ويسامحني عن ذنبي الذي اقترفته.

فلمـا قيل لهـذا العالم الجليل القدر ما جـرى للسائق أجاب: بأني عفـوت عنه، إئتوني به، فلمـا جيء به وهو يصـرخ ويصيح من شدة الألم عندهـا وضع الشيخ خاتمه على مكان لـدغ الأفعى فخرج السم علـى الفـور وسكـن الألم وكأن اللّه وببركة الشيخ قـد أعطى السائق عمراً جديداً وبقي حتى آخر عمره من مريدي الشيخ المخلصين وتاب عمّا بدر منه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦﴾ ٢٣-٢٦.

قذف المحصنات عدّه النبي ﷺ من الكبائر، والآية المباركة فيها إنذار شديد اللهجة يوجهه الله تعالى للذين ينسبون النساء العفيفات المؤمنات الغافلات عن الفواحش بالزنا فهن في غفلة عن الإثم وإذا بهن يُرين الصاق التهمة البشعة بهن بل يجب أن نحترم هؤلاء النسوة أشد الاحترام ولكن تجد أنفسهن أسيرات التهم البشعة، لو كانت المرأة فاسدة في طريقة تعاملها مع الآخرين متبرجة ومخالفه لآداب الحشمة، كثيرة الخروج فهي في هذه الحالة تضع نفسها في دائرة الاتهام وتستجلب كلام الناس عليها فلو اتهمت فإنها تتحمل مسؤولية ذلك أما المرأة العفيفة المحتشمة المحترمة غافلة عن التهمة فعلى ممن يتهمها فإنه ملعون في الدنيا (أي مبعد عن الخير ومنبوذ لدى المؤمنين) وملعون في الآخرة حيث يبعده الله عن رحمته ورضوانه ويعذبه عذاباً عظيماً وقيل: يحذرهم الله تعالى من نار جهنم وهي النار التي تنضج الأكباد والكلى وسائر ما أعد في جهنم من ألوان العذاب وقبل ذلك يجلده سبعون ألف ملك من بين يديه ومن خلفه هذا في الآخرة أما في الدنيا يعذبون بالجلد وردّ الشهادة وأحبط الله عمله وهذا الوعيد عام لجميع المكلفين.

فقذف المحصنات من الكبائر ولا فرق في حرمة القذف بين المسلمة والمشركة لما ورد من أنّ لكل قوم نكاحاً يحتجزون به عن الزنا، وقد ورد أنّه كان لأبي عبدالله عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه إلى أن قال: فقال يوماً لغلامه: يا بن الفاعلة أين كنت؟ قال: فرفع أبو عبدالله عليه السلام يده فصكّ بها جبهة نفسه ثم قال: سبحان الله! تقذف أمه، قد كنت أرى أنّ لك ورعاً فإذا ليس لك ورع، فقال: جعلت فداك أمه سنديّه مشركة، فقال: أما علمت أنّ لكل أمّة نكاحاً، تنحّ عنّي، فما رأيته يمشي معه حتى فرّق بينهما الموت.

قال الرضا عليه السلام: حرم الله قذف المحصنات لما فيه من فساد الأنساب ونفي الولد، وإبطال المواريث وترك التربية وذهاب المعارف، وما فيه من الكبائر والعلل التي تؤدي إلى فساد الخلق.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ الويل لنا عندما نقف أمام هذه المحكمة الإلهية، يوم ظهور العدل الإلهي التام الأكمل، فبالرغم من أن الإنسان نفسه عارف بما فعل إلاّ أنه لا يُقرّ ولا يعترف ولكن الشهود تتقاطر من حدب وصوب ومن الشهود عليه أعضاؤه وجوارحه كيف؟؟

- أعضاء الإنسان تشهد يوم القيامة:

يشير الله تعالى إلى شهود يوم القيامة، أولئك الشهود هم جزء من جسد الإنسان، حيث لا مجال لإنكار شهادتهم فيقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ إذا جمع الله عز وجل الخلق يوم القيامة دفع إلى كل إنسان كتابه فينظرون فيه

فيذكرون أنّهم عملوا من ذلك شيئاً فتشهد عليهم الملائكة فيقولون: يا رب ملائكتك يشهدون لك، ثم يحلفون أنهم لم يعملوا من ذلك شيئاً وهو قوله عز وجل ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾[1] فإذا فعلوا ذلك ختم الله على ألسنتهم وتنطق جوارحهم بما كانوا يكسبون، الأمر الذي يثير عجب أولئك المجرمين ووحشتهم ويُغلق عليهم جميع طرق الفرار والخلاص، حيث يجعل الله عز وجل في كلّ واحد من تلك الأعضاء القدرة على التكلم والشعور وهي تقوم بنقل الحقيقة بصدق، فاليد تشهد عليه بما ضرب وسرق وكتب، والرجل بما سعى، والعين بما نظر وهكذا.

واختلف في كيفية شهادة الجوارح على وجوه:

١- إنّ الله تعالى يخلقها خلقة يمكنها أن تتكلم وتنطق وتعترف بذنوبها.

٢- إنّ الله تعالى يجعل فيها الكلام، وإنّما نسب الكلام إليها لأنه لا يظهر إلاّ من جهتها.

٣- إنّ معنى شهادتها وكلامها أنّ الله تعالى يجعل فيها من الآيات ما يدلّ على أنّ أصحابها عصوا الله بها، فسميّ ذلك شهادة منها كما يقال: عيناك بسهرك[2].

يقول الإمام الباقر عليه السلام: وليست تشهد الجوارح على مؤمن، إنَّما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب، فأمّا المؤمن فيعطى

(١) سورة المجادلة: آية ١٨.
(٢) مجمع البيان: ج٨، ص٢٥٢.

كتابه بيمينه، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[1] فعمل الخير مهما صغُر يراه صاحبه أمامه وكذلك عمل الشر قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[2].

فاتق الله أيها الغافل وإياك أن تكون من الذين يرمون المحصنات العفيفات المؤمنات وتطعن في شرفها فتكون من الخاسرين.

وكيف تتحدثون عن شرف الرسول ﷺ بهذه الكيفية؟

من المستحيل أن تكون في أسرة أيّ من الأنبياء أمثال هذه المفاسد والفسق. نعم قد يقع الكفر بين أفراد عوائل الأنبياء أو يكون ابنه كافراً، لكن من المستحيل أن يكون فاسقاً.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝٢٥﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي في ذلك اليوم وهو يوم القيامة ﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ يعطيهم الله جزائهم العادل، فإن الدين بمعنى الجزاء، أو المراد جزاء دينهم فالمراد بالدين هو المعنى المتعارف (و) في ذلك اليوم ﴿يَعْلَمُونَ﴾ علماً وجدانياً قطعياً ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ ولا إله سواه وأنه حق يعطى بالحق ويعاقب بالحق ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ أي الظاهر الذي لا غموض فيه ويظهر لهم حقائق الأمور.

(١) سورة الإسراء: آية ٧١.
(٢) سورة الزلزلة: آية ٤.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

تعددت وجهات النظر في هذه الآية من قِبل المفسرين فقال قسم:

إن هـذه الآية تشير إلى أن الأقوال والأفعال الخبيثة للخبثاء، وعلى العكس بالنسبة للأقوال والأفعال الطيبة.

وقسم آخر قـال: إن الخبيثات من النساء للرجال الخبيثين، وعلى العكس بالنسبة للنساء الطيبيات مثل قوله ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.

من هو الرجل الخبيث؟

هـو الرجل الفاسـد الذي يفقد الغـيرة على أهله ويقبـل بالزوجة الفاسـدة الكاسية المتبرجـة العارية لا تغطي شعرهـا ولا جسدها إلاّ بقطعـة شفافـة يُظهر ما خلفه، هـذا ما نراه مع الأسـف منتشر في مجتمعنـا خصوصـاً فـي المجمعـات والأسـواق حتى بعض الدوائر الحكوميـة تـرى المـرأة كأنهـا ليست بالعمل بـل في عُرس بوضعها المكيـاج الصارخ وفستان آخر موضة يُفصّل جسدها في المقابل نجد نسـاء شريفات مؤمنات بالملابس المحتشمـة ولا ترى إلاّ وجهها وكف اليد بدون أي مكياج بل نور الإيمان يضيء وجهها.

وهؤلاء النسوة لا يقبلن إلاّ بالزوج الشريف الطيب والعكس صحيح

الرجل الطيب الشريف لا يطلب إلاّ امرأة طيّبة (الطيور على أشكالها تقع) لأن النفوس الخبيثة لا تألف إلاّ نفوس النساء الخبيثات والنفوس الطيبة لا تألف إلاّ نفوس النساء الطيبات وهذا يحصل وقت الاختيار عنـد الزواج، الطيبون يطلبون الطيبات والخبيثون يطلبون الخبيثات وهذا لا يعتبر حكم شرعي بيان لقانون طبيعي.

هل نشاهد عبر التاريخ أو في حياتنا حالات لا تنسجم مع القانون السابـق؟؟ ومثـال ذلـك ما جاء فـي القرآن المجيـد ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾[1] وفـي مقابـل هـذه الحالة ذكر القـرآن المجيد زوجة فرعون مثالاً للإيمان والطهارة ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

كذلـك في صدر الإسلام بعض المسلمين القادة منهم أُبتلي بنساء سيئـات وآخرون منّ الله عليهم بنساء مؤمنات جاء ذكرهن في كتب التاريـخ الإسلامي وهذا شاهد على كلامنـا السابق أنّ نساء الأنبياء والأئمـة الأطهـار عليهم السـلام لم ينحرفن ولم ينخبثـنّ أبداً هذا أولاً، وثانياً: لم يكن نساء الأنبياء والأئمة عليهم السلام كافرات منذ البداية بل يصبنّ بالضلالة أحياناً.

أمّـا تأويل هذه الآية المباركـة: إن أمير المؤمنين عليه السلام جعل شيعته

(١) سورة التحريم: آية ١٠.
(٢) سورة التحريم: آية ١١.

يوم القيامة برئيين مـن السيئات، يتحملها عنهم عدوهم قوله تعالى ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[1].

وجعـل حسنـات أعدائهـم لهـم قولـه تعـالى ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ يعنـي سيئـات المنافق لـه وحسناتـه للمؤمن وحسنـات المؤمن لـه وسيئاته للمنافق.

هذا مـا يسمـى تبديل سيئـات المؤمـن بحسنـات الناصب وحمل الناصـب سيئـات المؤمن قوله تعـالى ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[2].

هـذه الآية كما روي عن الإمامـين الباقر والصادق عليهما السلام مثل الآية: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.

إنّ أُناسـاً همّوا أن يتزوجوا منهن فنهاهم الله عن ذلك وكره ذلك لهم.

﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أولئـك الطيبـات والطيبـون منزهون مما يقولون فيهم مـن الوحي والقذف ولهـم غفران مـن الله سبحانه وستر لهم عـن الفضيحة كذلك لهم رزق مكرم والرزق يطلق على كل عطية ومنحه منه سبحانه ولو زوجا أو زوجة.

(١) سورة العنكبوت: آية ١٣.
(٢) سورة الفرقان: آية ٧٠.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ (١) وَتُسَلِّمُواْ (٢) عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ٢٧-٢٩.

- سبب نزول الآية الشريفة:

لقد كان في الجاهلية الرجل يدخل البيت بلا استئذان حيث كانوا يعتبرون الاستئذان حطّاً من شأن المستأذن حتى إذا توسطه قال (دخلت) وهذا خلاف العقل والأدب إذ لعل الرجل مع أهله أو لعل المرأة عارية تغتسل أو لعلهم يكرهون أن تقع العين على شيء من أمورهم.

أما في كتاب أسباب النزول للشيخ أبي الحسن الواحد النيسابوري أحد (أخواننا من أهل السنة) يقول: إنّ سبب نزول الآية أن امرأة من الأنصار جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتي الأب فيدخل عليّ وأنه لا يزل يدخل على رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟! فنزلت هذه الآية ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ الآية، قال المفسرون:

(١) الاستئناس: هو إعطاء إشارة لقصد الدخول.
(٢) التسليم: هو إشعاراً بحسن النية وسلامة القصد وهذا موافق للفطرة البشرية.

فلمـا نزلت هذه الآية قال أبو بكر الصديق يا رسول الله ﷺ أفرأيت الحانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن فأنزل الله تعالى ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ الآية.

فـي الآية الشريفة خطاب خُصَّ به المؤمنين وأوجبه عليهم بعنوان تكليـف شرعي وكان الخطاب أتى بلطف واحترام كالأب الذي ينصح أبناءه فإن الحديث يأتـي بلسان طيب ومحبة.. والله سبحانه وتعالى في هذه الآيات يريد بيان أدب من آداب الإسلام والتعاليم الإسلامية الإجتماعيـة التي لها علاقـة وثيقة بقضايا عامّة حـول حفظ العفة، أي كيفيـة الدخـول إلى بيوت النـاس، وكيفية الإستئـذان بالدخول إليهـا حيث تقـول الآيـة أولاً: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ لا تدخلـوا بيوتاً غير بيوتكم التي تسكنوها حتـى تستأنسوا وهو الإستئذان المرافق للمحبة واللطف والمعرفة والإخلاص أي يكون الإستئذان برفق وأدب وصداقة، بعيداً عن أي حدّةٍ وسوء خلق.

فـي مجمع البيان عـن النبي ﷺ أنّ رجلاً استـأذن عليه فتنحنح فقـال لإمـرأة يقال لها روضـة قومي إلى هـذا فعلّميه وقـولي له قل السلام عليكم ءأدخل. فسمعها الرّجل فقالها، فقال أدخل.

وعنه عليه السلام أنّه سئل ما الاستيناس؟ فقال: يتكلّم الرجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبيرة ويتنحنح على أهل البيت.

وفـي الكافـي عنه عليه السلام: يستـأذن الرجل إذا دخل علـى أبيه ولا يستأذن الأب على الابـن، ويستأذن الرجل على ابنته وأخته إذا كانتا متزوجتين.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

أي إنّ مصلحتكم في الاستئذان والتسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة على أهل البيت.

- **قصة:**

سمرة بن جندب كان سيء الخُلق، كانت لديه نخلة في دار أحد صحابة النبي ﷺ وكان له الحق الدخول إلى هناك لرعاية النخلة ولكنه كان يدخل بدون استئذان فشكا الرجل الصحابي عند النبي ﷺ هذا الرجل صاحب النخلة بعد أن نبهه عدة مرات على ضرورة الاستئذان، فاستدعى الرسول ﷺ سمرة بن جندب وأمره الاستئذان إلاّ أنه رفض، فقال النبي ﷺ أنا أشتري هذه النخلة منك، فرفض ثم قال له: أعطيك بدلاً منها نخلتين، رفض ثم عرض عليه عشرة نخلات بدلاً منها فرفض ثم قال له ﷺ: اضمن لك بدلاً منها نخلة في الجنة، قال: لا أريد نخلة في الجنة ولا استأذن في الدخول، هنا أمر الرسول ﷺ صاحب الدار أن يقلع الشجرة ويلقيها أمامه وقال: «إنّه رجل مُضار وإنه لا ضرر ولا ضرار على المؤمن».

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾.

يمكن أن يكون قصد هذه الآية أنه ربما كان في المنزل أحد ليس لديه حقّ إعطاء الإذن بالدخول، ففي هذه الحالة لا يحق للمرء الدخول إلى المنزل، أو لا يوجد أحد في المنزل، ولكن قد يكون صاحب المنزل قريباً أو في منزل الجيران بحيث لو طرق المرء الباب أو نادى

صاحبــه فقد يسمعه ثم يسمح لــه الدخول، على كل حال، القصد هو أن لا يدخــل أي شخص منزلاً دون إذن. حتى لو طُلب منه عدم الإذن بالدخول فاليرجع ففي ذلك زكاة للمجتمع وأطهر ونمو للأخلاقيات والعلاقات الطيبة فيه.

فهــذا رجل يسأل النبي ﷺ إذا كان من الضروري الاستئذان على الأم وإن ليس لها خادم غيري أفأستأذن عليها كلما دخلت؟

قال ﷺ: أتحب أن تراها عريانة؟

قال الرجل: لا، قال ﷺ: فاستأذن عليها.

هكــذا كانت سيرة النبي ﷺ لا يدخل بيتاً حتى يستأذن، حتى دار ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام كان يقف خلف الباب وينادي: «**السلام عليكم يا أهل البيت**» فإن أذن دخل وإذا لم يسمع الإذن، يكرر ثانية الســلام والثالثة فــإذا أذن له يدخل وإذا لم يصــل الإذن سمعه يعود ويقــول أنهم ليسوا في البيت أو أنها في وضع لا يسمح لهم باستقبال أحد، مثال على ذلك:

عــن جابر بــن عبدالله قــال: خرج رســول الله ﷺ يريــد فاطمة صلــوات الله عليهــا وأنا معه فلمــا انتهينا إلى الباب وضــع يده عليه ودفعه ثم قال: السلام عليكم، قالت فاطمة: وعليكم السلام يا رسول الله، قال أدخل؟ قالت: أدخل يا رسول الله، قال أدخل أنا ومن معي؟ فقالت يا رسول الله ليس على رأسي قناع، فقال: يا فاطمة خذي فضل ملحفتــك فقنعي به رأسك، ففعلت، ثم قــال: السلام عليكم، فقالت: وعليكم الســلام يا رسول الله، قال: أدخل؟ قالت: نعم يا رسول الله، قال: أنا ومن معي؟ قالت: ومن معك.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

إذا استأذن أحدكم فليبدأ بالسلام فإنه اسم من أسماء الله عز وجل فليستأذن من وراء الباب قبل أن ينظر إلى قعر البيت فإنما أمرتم بالاستئذان من أجل العين، والاستئذان ثلاث مرات فإن قيل ادخل فليدخل وإن قيل ارجع فليرجع، أولاهن يسمع أهل البيت، والثاني يأخذ أهل البيت حذرهم، والثالثة يختار أهل البيت إن شاءُوا أذنوا وإن شاءوا لم يأذنوا ثم ليرجع.

وقال عليه السلام: يسلّم الرجل إذا دخل على أهله وإذا دخل يضرب بنعليه ويتنحنح، يصنع ذلك حتى يؤذنهم أنه قد جاء حتى لا يرى شيئاً يكرهه، وقال في قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ الآية قال: الاستيناس وقع النعل والتسليم.

يؤكد القرآن على عدم الضجر والاستياء إذا أعلن صاحب الدار اعتذاره عن استقباله في الوقت الحاضر، يمكن أن يكون لديه عمل أهم ولكن مع الأسف في وقتنا الحاضر لا صاحب الدار قادر على التصريح ولا القادم لديه من رحابة الصدر بحيث يتقبّل ذلك ولهذا يحدث إما:

١- **الكذب:** يضطر صاحب الدار أن يقول لأطفاله كذباً بأنه غير موجود وهذا لا يجوز لأنه من الكبائر.

٢- **يضطر إلى النفاق:** كأنه يقول تفضل لقد شرفت الدار إلاّ إنه في قلبه عكس ذلك.

٣- يعتذر صاحب الدار عن استقبال القادم أو يخرج إليه من

يعتذر عن استقباله هذا موقف سليم ولكن الضيف ماذا يكون موقفه هل يتقبل هذا بسعة صدر؟!

٤- الحالة الرابعة يرتضيها الإسلام وهي أن يعتذر صاحب الدار من القادم إذا كان فعلاً معذوراً، ويجب ألاّ يستاء القادم (الضيف) عن مشاهدته لهذا الموقف والقرآن يأمر بهذه الحالة الرابعة وهو قوله: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾.

هذا الحكم لا ينطبق على كل موضع يقيم فيه الناس كالمحل والدكان والفندق ومحل العمل وغيره ولكن فقط ينطبق على الدار السكينة الخاصة ومحل العمل الخاص.

﴿هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾ أي الانصراف أنفع لكم في دينكم ودنياكم وأطهر لقلوبكم فلعل صاحب المنزل في وضع غير مريح أو أن منزله لم يهيأ لاستقبال الضيوف.

وبما أن بعض الناس قد يدفعهم حب الإطلاع عن وضع أهل المنزل حين رفضهم استقباله وليطّلع على أسرارهم لهذا قالت الآية: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ أي عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها.

﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**هي الحمامات والحانات والأرحيه تدخلها بغير إذن**».

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ أي ليس عليكم حرج ولا ضرر ولا إثم أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة بغير استئذان مث الحمامات والفنادق وغيرها.

﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ فيها استمتاع لكم في تلك البيوت، وهذا القيد عام يشمل حتى من يريد التفرج ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ ما تظهرون من الأمور ﴿ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ في أنفسكم وتخفونها، فلا تفعلوا ما يخالف أوامره، وهذه الخاتمة لإيقاظ الضمير حتى يكون الإنسان على نفسه رقيباً.

جاء في كتب الفقه والحديث، إذا تلصّص شخص على داخل منزل وشاهدته إمرأة فيه لم تتحجب، يمكنها أولاً نهيهُ عن هذا العمل، وإن امتنع رمته بالحجارة. وإن عاود، يمكنها الدفاع عن نفسها وشرفها بآلة جارحة، ولا ديّة لدمه، إذن عليها أولاً إتباع السبيل اليسير لمنعه، ثم إتباع العنف معه.

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ ٣٠-٣١.

ثم انتقل السياق من حكم البيوت إلى حكم النظر قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ ٣٠.

هذه الآيات المباركة هي من آيات الستر غير الآيات الواردة في سورة الأحزاب عن زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والتي تسمى في الفقه أو الحديث آيات الحجاب.

- سبب النزول:

روي عن الإمام الباقر عليه السلام إنّ شاباً وقع نظره على إمرأة في الطريق فسلبت عقله، فكانت المرأة قد رمت أطراف الخمار خلف ياقة الثوب مما يُظهر جزء من الصدر والرقبة، فلم ينتبه هذا

الشـاب إلى طريقـه فارتطم وجهه بجدار برزت منـه قطعة زجاج أو عظم شقـت وجهه فنزف الدم على ملابسـه فاقسم أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بما جرى له. وحين أخبره نزل جبرائيل عليه السلام بالوحي وقرأ على الرسول صلى الله عليه وآله هـذه الآية: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ تشمل هذه الآية حكمان:

أ- الحكم الأول: غض البصر:

أي تقليل النظر ولم تأمر الآية أن يغمض المؤمنون عيونهم ويقفلونها بحيـث لا يعرف ولا يرى طريقـه بمجرد مشاهدته امـرأة ليست من محارمه، ولا أن ينظر إليها ويتبحر فيها بل عليه أن يرمي ببصره إلى الأرض بمجرد أن ينظر إلى امرأة من غير محارمه ويواصل سيره.

ب- الحكم الثاني: هو حفظ الفروج:

والقصد من حفظ الفروج هو العورة وتغطيته عن الأنظار وقد جاء عـن الإمام الصـادق عليه السلام: «**كل آية فـي القرآن فيهـا ذكر الفروج فهي من الزنا إلاّ هذه الآية فإنها من النظر**».

النظـر إلى الأجنبيـة محـرم وقـد ورد أن النظر سهـم من سهامٍ إبليس مسموم، من تركه لله عز وجل لا لغيره أعقبه الله أمناً وإيماناً يجـد طعمه، وكم من نظـرة أورثت حسرة طويلة، وأنّه ما من أحد إلاّ ويصيـب حظّاً مـن الزنا، فزنا العينين النظر، وزنـا الفم القبلة وزنا اليديـن اللمس، صدّق الفرج ذلـك أم كذّب، وإنّ النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة.

وإنّ من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غمض بصره لم يرتدّ إليه بصره حتى يزوجه الله من الحور العين، ويعقبه الله إيماناً

يجـد طعمه. أما من مـلأ عينيه من امرأةٍ حراماً حشاهما الله يوم القيامـة بمسامير من نار، وحشاهما نـاراً حتى يقضي بين الناس ثم يؤمر به إلى النار.

فالآيـة الشريفـة تحـذر الذين ينظـرون بشهوة إلى غـير المحارم ويـبررون عملهم هـذا بأنه غير متعمد فيقول القـرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾.

- نستفيد من هذه الآية المباركة:

١- لا يجـوز النظر إلى عورة الغـير مهما كانت صلة القربى وحتى الآبـاء والأمهـات يحـرّم عليهم النظـر إلى عـورات أبنائهم وكذلك الأخوات والأخوة فيما بينهم باستثناء الأزواج في ما بينهم.

٢- الإسلام لا يريـد للناس أن تنشغل أذهانهم بالغرائز الجنسية والشهـوات فكل ما لا يـراه الإنسان لا يفكر فيه طالمـا عورات الناس مستورة، إذن الالتزام بتعاليم الدين المقدسة لها تأثير مهم في حفظ الحيـاة الدنيوية مـن الناحية الماديـة بالإضافـة إلى جانبها المعنوي الأخروي وإن غض البصر من قِبل الرجل المتزوج والمرأة المتزوجة لها أثر كبـير في الحفاظ على المشاعر الحارة والعواطف العائلية المليئة بالمحبـة، لأن القلـب يتعلق بالنظـرات المتبادلـة، وإن أول خطوة على طريق الإنحـراف الذي يهدم الحياة العائلية هـي العين التي تسترق النظر بشهـوة، حتى إن الإمام المعصـوم عليه السلام يصف النظرة بأنها سهـم من سهام إبليس «**وكم من نظـرة أورثت حسرة**»، أما ثمن كف البصر فهو تذوق طعم الإيمان وكبح النفس ودعاء واستغفار الملائكة.

إذاً، فإن غض البصر عن النظر إلى الجسم إنما هو شرط أساسي لراحة البال والنفس وحفظها من كثير من الأمراض، كثير من الرجال والنساء يدمرون حياتهم العائلية بسبب الانسياق وراء نظراتهم بحيث يغطي شعار الشهوة عيونهم.

إن المرأة المؤمنة الملتزمة عن وجهة نظر القرآن هي التي تنطبق عليها الآية ﴿ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾[1] بمعنى أنهن يحفظن عرض أزواجهن وناموسهم في غيبتهم كما لو كانوا حاضرين.

(١) سورة النساء: آية ٣٤.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ ٣١.

تحتوي هذه الآية الشريفة على أحكام للنساء وفيها نفس الحكمين الواردين في الآية التي سبقتها التي تخص الرجال وهي غضّ أبصارهن وفروجهن. وبهذا حرم الله التلصّص على النساء أيضاً مثلما حرّمه على الرجال وفرض تغطية فروجهن عن أنظار الرجال والنساء مثلما جعل ذلك واجباً على الرجال قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾.

- سبب نزول الآية:

قالت أُم سلمى كنت مع النبي ﷺ عند ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وكان هذا الرجل أعمى، فقال الرسول ﷺ: احتجبا! فقالت أم سلمى: أليس هو أعمى؟! فقال ﷺ: أفعمياً أنتما؟!

ثم أشارت الآية إلى مسألة الحجاب في أربع أحكام:

أ- أشار القرآن إلى تكليف آخر جعله للمرأة واجباً ولم يجعل

للرجل مثله وهـو تكليف المرأة بستر نفسها وقد عبّر عن ذلك بالقول ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ المقصـود هنـا وسائـل الزنيـة سـواء التي يمكـن فصلها عـن البدن كالأسـاور والخاتم أو الأشيـاء التي تلصق بالبدن كمواد التجميل، علماً أن مواضع الزينة المحرمة إظهارها هي المعصم، الأذن، الرقبة والرجل.

ب- ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾.

كلمة (خمر) جمع خمار تعني الغطاء إلاّ أنّه يطلق بصورة اعتيادية على الشيء الذي تستخدمه النساء لتغطية رؤوسهن.

كلمـة (جيوب) جمع لكلمة (جيب) بمعنـى ياقة القميص وأحياناً يطلق على الجزء الذي يحيط بأعلى الصدر لمجاورته الياقة.

نستنتـج مـن هذه الآيـة أن النساء كنّ قبل نزولهـا يرمين أطراف الخمـار على أكتافهن أو خلف الرأس بشـكل يكشفن فيه عن الرقبة وجانبـاً من الصـدر فأمرهـن القرآن برمـي أطـراف الخمار حول أعناقهن ليسترن بذلك الرقبة والجزء المكشوف من الصدر.

جـ- توضح الآية الشريفة الحالات التي يجوز للنساء فيها الكشف عن حجابهنّ وإظهار زينتهن فتقول ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا﴾:

١- لبعولتهن أي أزواجهن.

٢- أو آبائهن.

٣- آباء بعولتهن أي أب الزوج.

٤- أبنائهن ويدخل في الآباء والأجداد، وفي الأبناء الأحفاد.

٥- أبناء بعولتهن.

٦- إخوانهن سواء كان أخاً للأب أو للأم أو للأبوين.

٧- بني إخوانهن فهن عمات لهم.

٨- بني أخواتهن فهن خالات لهم.

٩- نسائهن أي النساء المؤمنات أما لنساء اليهود والمجوس والنصارى وسائر الكفار فلا يجوز حتى لا يصفن لأزواجهن.

١٠- أو ما ملكت أيمانهن أي الإماء الكافرات أما عبيد النساء فلا يحل إلاّ إلى شعرها غير متعمدة لذلك.

١١- التابعين غير أولي الإربة من الرجال فهم الرجال الذين لا رغبة جنسية عندهم.

١٢- الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وهم الصبيان الذين لم يعرفوا عورات النساء.

د- ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ على النساء أن يتحفظن كثيراً ويحفظن عفّتهنّ ويبتعدن عن كل شيء يثير نار الشهوة في قلوب الرجال حتى لا يتهمن بالانحراف عن طريق العفة خصوصاً في لبس الخلخال حتى لا يصل صوته إلى آذان غير المحارم وهذا ما يدل على دقة نظر الإسلام في هذه الأمور، يلتفت للجوهر لا للقشور إذ يفرض على المرأة الحجاب الباطني أيضاً.

ثم انتهت الآية بدعوة جميع المؤمنين رجالاً ونساءً إلى التوبة

والعـودة إلى الله ليفلحوا: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

الإنسان لم يخلق معصوماً إذ لا غرابة أن يسقط سقطات عصيان ولكن الغريب هو أنه لا يعالجها بالتوبة.

قـال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس، توبوا إلى ربكم فإني أتوب إلى الله في كل يوم مائة مرة**».

والمـراد بالتوبة هـو الانقطـاع إلى الله تعالى لكي تفـوزوا بسعادة الدارين فلا نجاة لكم من كل الانحرافات الخطرة إلاّ بلطف من الله ورحمته فسلموا أمركم إليه.

تعاليم إسلامية

أ- خاصة للأخت المسلمة:

إليك بعض التعليمات الإسلامية التي رسمها الله تعالى لكِ، لكي تسعدي في الدنيا والآخرة، وهي تعليمات راقية تسمو بكِ إلى درجات عالية في الفضيلة والإيمان والكرامة والشرف، وتتكفّل لك الخير والفلاح، بشرط أن تطبقيها وتلتزمي بها في الحياة:

١- الحجاب قبل كل شيء هو الحرز الآمن الذي يحرسكِ من الفساد والمفسدين ويصونك من الشقاء والأشقياء وهو الحصن المنيع الذي يمنع عنكِ السوء وأهله.

الحجاب رسالة الله إليكِ، فأطيعي ربّك ونفّذي أمره فإنه لمصلحتك، ولا يريد إلاّ سعادتك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1]، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾[2]، فإيّاكِ أن تخالفي أمره فتهلكي.

إن قيمة المرأة بدينها وحيائها وعفافها، وإن الحجاب هو المفتاح الذهبي لذلك، فعليكِ أن تلتزمي به. إن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: فيجب عليك أن تعرفي قدرك ولا ترخصي جسمك ومحاسنك إلاّ لزوجكِ فقط. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث يصف فيه المرأة الصالحة: «**المتبرّجة مع**

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٣.
(٢) سورة النور: آية ٣١.

زوجها، الحصان عن غيره، التي تسمع قوله وتطيع أمره وإذا خلا بها بذلت له ما يريد منها»[1].

- سبب تخصيص الستر بالمرأة هو:

يعود إلى خصوصيتها الجسمية والعاطفية، فجانب الإغراء لدى المرأة أقوى منه لدى الرجل بدرجة عالية.

فكفاءة المرأة من ناحية الإثارة عالية جداً، ثم إن لديها نزوعاً غريزياً للظهور بمظهر جميل، أو من هنا تكون الزينة والتجمل من خصوصيات المرأة بالدرجة الأولى إن لم يكن ذلك مقصوراً عليها.. إن هذه الخصوصية الطبيعية في المرأة والتي تجعل منها أقدر على كسب الرجل وإثارته هي التي جعلت الإسلام الحنيف يعالج هذا الموضوع بالتستر والحجاب.

٢- لا تستعملي المساحق وأدوات التجميل والعطور إلاّ في بيتك، لزوجك وقريباتك، وحذارِ حذارِ أن تستعمليها عند الخروج من البيت فإنّها تعرّضك للخطر والاعتداء، ويجلب عليك غضب الله ولعنته.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أيّة إمرأة تطيّبت ثم خرجت من بيتها، فهي تُلعن حتى ترجع إلى بيتها، متى رجعت**»[2].

إن المرأة العفيفة تتجنّب كلّ ما يجلب إنتباه الرجال إليها بعكس المرأة المبتذلة الرخيصة فإنها تسعى إلى ارتكاب ما يجلب انتباه الرجال إليها مثل لبس الأحذية ذات الكعوب العالية التي تُحدث الضوضاء في الطريق كصوت حوافر الخيول.

(١) الكافي: ج٥، ص٣٢٤.
(٢) بحار الأنوار: ج١٠٣، ص٢٤٧.

٣- لا تتشبّهي بالرجال، في الملابس والمظاهر وغيرها، بل كوني مستقلّة في حياتك الأنثوية. قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله المتشبّهات بالرجال من النساء، ولعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء**».

٤- لا تصافحي الرجل الأجنبي، حتى لو كان من أقربائك كابن العمّ وابن الخال وإذا مدَّ رجل أجنبي يده إليكِ للمصافحة فاعتذري منه ولا تخجلي وقولي له: إن ديني وربي يمنعني عن هذا، ولا تعيري له اهتماماً إذا سخط عليك أو انزعج منكِ، لأن رضى الله تعالى أولى من رضى الناس.

وقد جاء في الحديث: «**مما أوحى الله تعالى إلى النبي عيسى عليه السلام: يا عيسى إنّي إذا غضبتُ عليك لم ينفعك رضى من رضي عنك، وإن رضيتُ عنك لم يضرّك غضب المغضبين**».

٥- لا تخجلي من الحجاب، بل تمسّكي به بكل جرأة واستقامة، حتى إذا كنتِ في أسرة غير محافظة، كوني مستقيمة في دينك، متصلّبة في موقفك كما قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[٢].

ولا تعيري أي اهتمام لاستهزاء المخالفين بل رُدّي عليهم بقوله تعالى: ﴿ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾[٣].

(١) سورة هود: آية ١١٢.
(٢) سورة فصلت: آية ٣٠.
(٣) سورة هود: آية ٣٨.

- حوار مع فتاة مسيحية:

جاءت فتاة مسيحية وقالت لأحد علماء الدين: أنا عرفت عن الإسلام الشيء الكثير وقد أعجبتُ بهذا الدين وبقوانينه ودساتيره وأحببته حُبّاً كثيراً ولكن قانون واحد كان سبباً لعدم دخولي في الإسلام فإذا استطعت أن تبيّن لي فلسفة هذا القانون فإنني أدخل في الإسلام؟

قال العالم الديني: وما هو ذلك القانون؟

قالت: قانون الحجاب. لماذا فرض الإسلام الحجاب على المرأة؟ ولماذا لم يتركها تخرج سافرة كالرجل؟

فقال العالم الديني: هل ذهبت إلى سوق الصاغة.. إلى محلات المجوهرات؟

قالت الفتاة: نعم.

قال العالم: هل رأيت أن الصائغ قد وضع الذهب والمجوهرات في الصندوق وقفل باب الصندوق؟

قالت: نعم.

قال لها: لماذا لم يترك المجوهرات في متناول الأيدي؟ لماذا وضعها في الصندوق المقفول؟

قالت: لكي يحرسها من اللصوص والأيدي الخائنة.

فقال لها: هذه هي فلسفة الحجاب.. إن المرأة ريحانة، المرأة جوهرة، ياقوتة يجب المحافظة عليها من الخائنين والفاسدين،

ويجب حفظها في شيء يسترها وهو الحجاب، فالحجاب إذاً وقاية وصيانة لشرف وكرامة المرأة.

هنا تهلّل وجه الفتاة المسيحية واقتنعت بهذا القانون الإسلامي وعرفت الحكمة منه فدخلت في الإسلام.

٦- الثقة وحدها لا تكفي: الحجاب واجب شرعي عليك سواء كنت واثقة بنفسك أم لا، ثم أن الثقة لوحدها لا تجدي لأنّ ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[1]، وكم من الفتيات اللاتي كنّ واثقات من أنفسهن، ثم انزلقن في الفساد بسبب السفور كما إن السفور يسبب إثارة الغريزة الجنسية في من يراك وقد يسبب تحرش الناس بكِ، وربما أدّى إلى الاعتداء عليكِ فهل ثقتكِ بنفسك تمنع ذلك عنكِ؟

٧- لا تنخدعي بالشعارات: إن أعداء الإسلام وأعداء المرأة يحاربون الحجاب عن طرق كثيرة ومنها بالشعارات الباطلة والألفاظ الفارغة، فاحذري هذه المؤامرات، ولا تتجرعي السُمّ الممزوج بالعسل، لا تبيعي نفسك ودينك وكرامتك لأعداء الله، كوني مسلمة قولاً وفعلاً.

٨- كوني داعية إلى الحجاب واشرحي فلسفته وحِكمته لقريباتكِ وزميلاتكِ لأن مسؤولية التبليغ الديني ليست خاصة بالرجل دون المرأة، بل هي عامة للجميع كما جاء في الحديث الشريف «كلكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته»، وقد جاء في التاريخ: أنّ السيدة فاطمةَ الزهراء عليها السلام كانت تُبيّن المسائل الشرعية لبعض النساء في

(١) سورة يوسف: آية ٥٣.

المدينة النـورة، وأن السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام: كانـت تُدرّس تفسير القرآن للنسـاء في الكوفة واعلمي أن الله تعالى يتفضّـل عليكِ بثوابٍ عظيم مقابل كل فتـاة تلتزم بالحجاب وتهتدي إلى الحقّ على يديكِ.

٩- لا ترفضي الزواج عندما يتقدّم أحد للزواج منكِ، فابحثي فيه عـن أمرين أساسيّين: **الدين، والأخلاق** لأنهمـا هما مفتاح السعادة في حياتك الزوجية، وعليك أن لا تسألي عن جنسيته وشهادته وراتبه وحسبه والمهر الذي يقدّمه لك[1].

قال رسول الله ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون خُلُقه ودينه فزوّجوه، إن لم تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**».

- من قصص الحجاب:

كان أحـد الحكام العباسيـين يأخذ الضرائب الكثـيرة من الناس ومنهم أهل بلخ في أفغانستان وبسبب الفقر الشديد الذي كان يعاني منه أهل بلخ لم يدفعوا للحاكم الضرائب فأرسل لهم والياً وأوصاه أن يضيق عليهم ويهددهم ولا يرحمهم حتى يدفعوا الضرائب.

فكـر أهل البلـد أن يذهبـوا إلى زوجة الـوالي ويستعطفونها حيث أنهـا كانت إنسانـة متدينة رقيقة القلب وحينمـا طلبوا منها التوسط لتخفيـف الأمر عليهـم وافقت وقالت لهـم سوف أرتب هـذا الأمر، وأخـبرت زوجها الوالي وقالت له أنا أدفع لك ثوبي المرصع بالجواهر بدلاً من الضرائب. رضى الوالي وأخذ الثوب وذهب للحاكم العباسي

(١) جاء في الحديث: شؤم المرأة في غلاء مهرها.

ووضــع الثوب أمامه فقــال له الخليفة: لمن هذا الثــوب؟! قال الوالي: هذا ثوب زوجتي، تأثر الحاكم العباسي وقال للوالي: لا تأخذ من أهل بلخ شيئاً وأرجع الثوب إلى زوجتك. أخذ الوالي الثوب وشرح ما جرى لزوجته فقالت: وهل نظــرت عين الحاكم إلى هذا الثوب؟ قال: نعم، فقالــت: لا ألبســ ثوباً نظر إليــه أجنبي. وقالت: خــذوه وبيعوه وابنوا بثمنه مسجد والآن موجود في بلخ والباقي من الأموال أوقفوه لشؤون المسجد.

ب- تعاليم إسلامية خاصة للأخ المسلم:

١- لا تنظر إلى المرأة الأجنبية:

يُعتبر النظر إلى المرأة الأجنبية المرحلة الأولى من مراحل الفساد والانحراف الخُلقي وهو مفتاح الشر ومبدأ الانزلاق لأنه يجرّ الإنسان إلى النظرة الثانية والثالثة.. وأخيراً يؤدي إلى الفحشاء والمنكر.

يقول الشاعر:

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فختام

لذلك أراد الإسلام الحكيم أن يمنع الفساد من أصله ويقطعه من جذوره، لذلك حذّر الله تعالى النظر إلى المرأة الأجنبية وأمر المؤمنين أن يغضّوا أبصارهم ويصرفوا عيونهم عنها قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾.

وجاء في حديث: « **عفّوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم**» وفي حديث آخر: «**لا تزنوا فتزني نساؤكم**».

- **قصة:**

يُحكى أن رجلاً سقّاءاً كان يحمل الماء إلى دار رجل صائغ، طيلة ثلاثين سنة، وربما كان الصائغ غائباً عن الدار فتأتي زوجته وتفتح الباب ليُفرغ السقّاء الماء في المكان المعدّ له. وطوال هذه الفترة لم تصدر من السقّاء أيّة خيانة تجاه زوجة الصائغ حتى نظرة سوء واحدة.

وذات يوم بينما المرأة تفتح الباب للسقّاء إذ مدَّ يده وقبض على

يدهـا وقبّلهـا. هنا... مـا كان من المـرأة إلاّ أن سحبت يدهـا بقوّة، وصرخـت فـي وجـه السقّاء وطردتـه من البيـت.. ثم راحـت تفكّر مستغربـة عن هذا التصـرّف الخياني الذي صدر مـن السقّاء، بعد أمانـة دامت ثلاثين سنة؟ ولما عـاد زوجها إلى الدار سألته عمّا صدر منـه فـي السوق في يومه هـذا؟ فقال: إن امرأةً جـاءت تشتري منّي سـواراً، فلمّا كشفت عـن معصمها لتلبس السـوار قبضتُ على يدها وقبّلتُها!!

فصرخت زوجته: الله أكبر! ثم حكت له ما صدر من السقّاء.

نعم.. إن كل ما يصدر من الإنسان تجاه نواميس الآخرين ونسائهم سوف يحدث بالنسبة إلى نسائه.. وفي الحديث القُدسي: «**كما تدين تُدان**».

٢- لا تصافح المرأة الأجنبية:

لقد نهى الله تعالى عن مصافحة المرأة الأجنبية، فقال رسول الله ﷺ: «**مـن صافـح امـرأةً تحـرم عليه، فقـد باء بسخط مـن الله عز وجل، ومن التزم امرأة حراماً قُرنَ في سلسلة من نار مع شيطان، فيُقذفان في النار**».

٣- لا تمازح المرأة الأجنبية:

نهـى الإسلام عن المـزاح والغزل مع المرأة الأجنبيـة لأنه كثيراً ما يؤدي إلى الفساد والمنكر، وإثارة الغريزة الكامنة في الطرفين.

يقـول رسول الله ﷺ: «**مـن فاكه إمرأة لا يملكها، حبسه الله بكل كلمة كلّمها في الدنيا ألف عام**» (أي في الآخرة).

٤- لا تتأخر في الزواج:

الـزواج أمـرٌ لا بدّ منه، فالإنسـان إذا بلغ مرحلـة الرشد، والبلوغ الشرعـي لزم عليـه أن يتزوج حتى يُحـرز دينـه -أولاً- وينال رضى الله تعـالى -ثانيـاً- ويحفظ نفسه من المحرمـات والمفاسد الجنسية -ثالثاً-.

إن التأخر في الزواج يؤدي بالإنسان إلى أحد أمرين:

أ- كبـت الغريـزة والضغط علـى النفس، وتحمّـل الأذى من وراء ذلك.

ب- إرتـكاب المفاسـد والمحرمـات واللجـوء إلى العـادة السريّـة والشذوذ الجنسي والزنا وهتك الأعراض.

ومـن الواضح أن كلا الأمريـن يشكلان خطراً كبـيراً على نفسية الإنسـان وشرفه وكرامته: فالكبت والضغط يؤدي إلى العُقد النفسية وسوء الخلق والعذاب الروحي.

وارتـكاب المحرّمات يـؤدي إلى ارتكاب الجرائـم وفقدان الشرف والكرامـة إذن الحل هوالزواج الذي يقدمـه الإسلام، ويُقرّ به العقل أيضـاً إن الزواج يوفّر للإنسان السعـادة الروحية، والترويح النفسي وحُسن الخلق، والنشاط واللذة والمتعة.

إنّ العزوبـة مكروهـة عنـد الله تعـالى، ومرفوضة فـي الإسلام، ومبغوضة عند أولياء الله.

يقول رسول الله ﷺ: «**شراركم عُزّابكم**»، «**أراذل موتاكم العُزاب**»، «العزاب إخوان الشياطين» ويقول أيضاً: «**أكثر أهل النار العزاب**».

روي عـن عـكاف الهلالي قال: أتيت رسـول الله ﷺ فقال لي: «يا عكاف ألك زوجة؟ قلت: لا.

فقال: ألك جارية؟

قلت: لا.

فقـال: وأنت صحيح مُوسـر - أي لك القدرة المالية والجنسية على الزواج؟

قلت: نعم والحمدلله.

فقـال: فإنّك إذن من إخوان الشياطـين... إمّا أن تكون من رهبان النصارى وإما أن تصنع كما يصنع المسلمون، وإن من سُنَّتنا النكاح.. إلى أن قال: ويحك يا عكاف تزوّج... تزوّج... فإنّك من الخاطئين.

قلت: يا رسول الله زوّجني قبل أن أقوم؟

فزوّجه الرسول ﷺ.

وفـي مجـال التحريض والتشجيـع على الزواج، يقـول رسول الله ﷺ: «**مـا بُنـي في الإسلام بناء أحبُّ إلى الله عز وجل من التزويج**» ويقـول أيضاً: «**ما مـن شاب يتزوّج في حداثة سنّة إلا عجّ شيطانه**». أي ثار وغضب.

يقول: يا ويلاه! عصم هذا منّي ثُلثي دينه.

ثـم قـال النبي ﷺ: «**فليتقّ الله فـي الثلث الباقـي، أي أن الزواج يحفظ ثلثي الدين، وعلى الإنسان أن يخشى الله في الثلث الآخر**».

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ ٣٢-٣٤.

طرحت هذه الآيات سبلاً وطرقاً أمينة متعددة للحيلولة من الوقوع بالانحطاط الخلقي والفساد وأهم هذه الطرق مكافحة الفحشاء (الزنا) هو الزواج اليسير البعيد عن أجواء الرياء والبذخ لأن إشباع الغريزة بشكل سليم وشرعي خير سبيل لاقتلاع جذور الذنوب ولهذا تقول الآية: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾.

النكاح سُنة من سنن المرسلين ومن عدو[1] الله حصن حصين، وفيه فضل كثير لأنه طريق التواصل وباب التناسل وسبب الألفة والمعونة على العفة. وقد حثّ الله سبحانه عليه ودعا عباده إليه فقال عز وجل: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾ جمع (أيم) بمعنى الأعزب، المرأة التي لم تتزوج والرجل الذي لم يتزوج بكراً وثيباً فزوّجوا النساء اللائي بدون أزواج.

(١) عدو الله هو الشيطان لعنه الله وأخزاه.

قال النبي صلى الله عليه وآله: «**تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**» وقال صلى الله عليه وآله: «**من أحب أن يتّبع سنتي فإنّ من سنّتي التزويج**» وقال صلى الله عليه وآله: «**من أحب أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجه**» وقال صلى الله عليه وآله: «**تزوجوا وزوّجوا الأيم**».

فالآية الشريفة تدعو إلى النكاح وجاء على صيغة فعل أمر ﴿وَأَنكِحُواْ﴾ أي زوجوا ورغبوا ومهدوهم للزواج عن طريق تقديم العون المالي عند الحاجة أو العثور على زوجة مناسبة، هذا لأهمية الزواج والمحافظة على إنسانية الإنسان وحفظ الأمن للفرد والمجتمع، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**أفضل الشفاعات أن تشفع بين اثنين في نكاح حتى يجمع الله بينهما**». وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «**ثلاثة يستظلون بظل عرش الله يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله، رجل زوّج أخاه المسلم أو خدمه أو كتم له سراً**».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**إن من زوج أعزباً كان ممن ينظر الله إليه يوم القيامة**».

الكثير من الأحاديث تدعو وتشجع على الزواج لأهميته الاجتماعية في المجتمع فتقول الآية: «**زوجوا أيها المؤمنون رجالكم الذين لا زوجة لهم ونسائكم اللاتي لا زوج لهن**»، ولكن نجد بصورة عامة يقف الفقر حائلاً دون الزواج بسبب الغلاء في المهور وهي من الأسباب يتعذر به الكثير للفرار من الزواج وتشكيل الأسرة مع أن القرآن يقول: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ مقدرة الله سبحانه واسعة تشمل الوجود كله وعلم الله

سبحانه يحيط بكل شيء ويحيط بما خفي وبما ظهر من الأفعال خاصة من الذي يقدمون على الزواج ابتغاء المحافظة على عفتهم وطهارتهم وبهذا يشمل الله الجميع بفضله وكرمه.

سبق وقلنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يشجع على الزواج حيث قال: «من تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الباقي» والسبب في ذلك هو أنّ الغريزة الجنسية من أقوى وأشرس الغرائز في الإنسان وانحرافها يعرّض دين الإنسان إلى الخطر ولذا جاء حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**شراركم عزّابكم**» ولهذا شجعت الآيات والأحاديث المسلمين على التعاون في تزويج العزاب وتقديم ما بوسعهم من مساعدات في هذا السبيل.

يروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاب من الأنصار فشكا إليه الحاجة فقال له: تزوج، فقال الشاب: إني لأستحي أن أعود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلحقه رجل من الأنصار، فقال: إنّ لي بنتاً وسيمة فزوّجها إياهُ، قال: فوسع الله عليه ثم أتى الشاب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا معشر الشباب عليكم بالباه (أي النكاح) إن الترك النهائي للزواج يعتبر تفريطاً، فقد خلق الله الشهوة الجنسية عند الإنسان ليستخدمها في خلق الأجيال، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط**».

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

عندما لا يوفق الإنسان للزواج أو يكون عاجزاً عن ذلك فعليه أن يتعفف، ويتحصن بالإيمان، لا أن يفسد في الأرض أو يكون سبباً

لانتشار الفاحشة في المجتمع وعليه أن يواجه امتحانه الإلهي ويمتحن قوة إيمانه وشخصيته وتقواه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من استطاع منكم الباه فليتزوج ومن لم يستطع فليصم فإن الصوم وجاؤه**».

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ﴾ أي الأحرار إذا كانوا فقراء لا سعة لهم للتزويج. ﴿يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وعدهم الله سبحانه أن يوسّع عليهم عند التزويج على الآباء والأمهات أن لا يقصّروا في أمر زواج أبنائهم وبناتهم، فالفتاة التي تصل إلى مرحلة الزواج مع وجود الخطيب المناسب فإن من الواجب عدم خلق المعاذير أمام ذلك.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إن الأبكار بمنزلة الثمر على الشجر إذا أدرك ثمارها فلم تجتن أفسدته الشمس، ونثرته الرياح، كذلك الأبكار إذا أدركن ما يدرك النساء فليس لهن دواء إلاّ البعولة**»[1] إن ترك الثمرة الناضجة حتى تفسد ظلم، وليس من حق الوالدين أن يمنعا ابنتهما التي وصلت مرحلة البلوغ ووجدت الشاب المناسب لها عن الزواج بحجة أن هذا الشاب لم يحصل على الشهادة وهذا ظلم بحدّ ذات.

هذا رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وصول الوحي الإلهي أن زوّج ابنتك من عليّ عليه السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام لا يملك شيئاً من الناحية المادية إلاّ سيفه ومدرعته وبعيره فباع مدرعته وأعطى الدراهم للرسول صلى الله عليه وآله واشترى أبا ذر وسلمان المحمدي بهذه الدراهم أثاث الزواج.

(١) وسائل الشيعة: المجلد ١٤، باب النكاح.

فنصيحتي للآباء أن لا يبحثوا على المال والمراكز بل ابحثوا على التقوى زوّجوا بناتكم لأجل الله وحفظ الدين وعفتكم وأن التقوى والإيمان هو الميزان.

﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ الله واسع المقدرة كثير الفضل وعليم بأحوالهم وما يصلحهم فيعطيهم على قدر ذلك.

قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظن بربه».

ثم أخذ السياق يعالج مشكلة اجتماعية وهي مشكلة الرقيق حيث كان الذكور منهم يبقون بلا زواج ويعيشون عناء العزوبة ويشكلون بؤرة الفساد، فأمر الله بمكاتبتهم[1] ليتحرروا ولينكحوا مثل غيرهم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾.

إذا طلب العبيد والإماء المكاتبة وقد علمتم فيهم خيراً أي قد بلغوا من النمو الجسمي ووجدتم فيهم صلاحية لإبرام العقد، وقدرتهم على إنجاز ما تعهدوا به فكاتبوهم. أما إذا لم يفوا بما عاهدوا يجب أن يؤجل أمرهم إلى وقت آخر يؤهلهم من حيث القدرة والصلاحية.

ولأجل ألاّ يقع العبيد في مشاكل لا يتمكنون من حلّها ويعجزون عن تسديد ما بذمتهم يدعو القرآن الكريم إلى مساعدتهم:

(١) المكاتبة: هو أن يكتب المولى والعبد كتاباً على أن العبد إن دفع إلى مولاه المقدار الكذائي من المال صار حراً، وإذا طلب العبد ذلك ندب قبول طلبه ومكاتبته.

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾.

بأن يخفف المولى شيئاً عن المال المقرر، فإن قرر ستة آلاف أخذ منه خمسة وعفى عن ألف أو أن الخطاب عام بأن يعين الناس المكاتبين ليخلصوا من الرق، وقد قرر الله سبحانه إعطاء المكاتبين من الزكاة كما قال سبحانه ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾[1].

ثم أشارت الآية إلى أحد الأعمال القبيحة التي كان يمارسها عبّاد الدنيا إزاء جواريهم ليأخذوا أجره:

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾.

- سبب نزول هذه الآية:

كانت العرب وقريش يشترون الجواري ويضعون عليهم الضريبة الثقيلة ويقولون اذهبوا وازنوا واكتسبوا ومن أمثلة هذا هو عبدالله بن أبي الذي كان يملك ست جواري يجبرهن على البغاء (الزنا) وعندما نزلت آيات قرآنية تنهى عن الفحشاء جئن إلى النبي ﷺ وعرضن شكواهن على سيّدهن عنده فنزلت الآية السابقة حيث تنهى عن ارتكاب هذا الإثم.

فجاءت الآية تنهى الذين يكرهون فتياتهم على الزنا ليأخذوا أجره ومع الأسف نجد في عصرنا هذا حيث يُجبر بعض الرجال الأسافل بعض نسائهم على البغاء لتحصيل المال أو منصب أو ما أشبه ذلك.

(١) سورة التوبة: آية ٦٠.

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ أي تعففاً وحصانة عن الزنا.

الفتاة مع نقص عقلها وكثرة شهوتها إذا لم ترد البغاء، فالمولى أحق بعدم الإرادة والامتناع، فكيف يكره الرجل فتاة وهي تكره ولا تريد؟ إن بيع الجسد وإشاعة هذا الفعل بأية صورة كانت، إنما هو من الذنوب العظام.

جاءت هذه العبارة لتثير غيرة مالكي الجواري إن كان لهم أدنى غيره، لماذا ترتكبون هذه الأعمال المنحطة على الرغم من تصوركم أنكم طبقة راقية؟

وفي الختام على حسب الأسلوب الذي يتبعه القرآن يفتح طريق التوبة للمذنبين ويشجعهم على إصلاح أنفسهم:

﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يمكن أن تكون هذه الآية إشارة إلى الوضع السائد بين ملاّك الجواري الذين غلب عليهم الندم، واستعدوا للتوبة وإصلاح أنفسهم، أو أن تكون هذه الآية إشارة إلى النسوة اللواتي يرتكبن هذا العمل القبيح بإكراه من قبل أسيادهنّ.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

توضح الآية الشريفة أن القرآن فيه آيات واضحات توضح الطريق للناس وتبين لهم سنن الله مما يزيدهم علماً، وفيه الأمثال عن الأمم السابقة مما يزيدهم حكمة ليعتبروا ويتعظوا بتجارب الآخرين ويزدادوا معرفة ورشداً للمتقين الذين يخافون عقاب الله أما من لا يخاف عقاب الله فإنه لا يستفيد من القرآن شيئاً، وقد خصّ القرآن ذِكر المتقين لأنهم هم المنتفعون والمستفيدون من العظة.

في أنّ الأئمة عليهم السلام هم النور

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٣٥﴾ ﴾ ٣٥.

تسمى آية النور التي منها سميت السورة نسبة لها.

تتحدث الآية المباركة عن عالم النور، عالم الإله الذي أنار كل شيء بنور وجهه فقال تعالى:

﴿ٱللَّهُ نُورُ﴾ إن الله واضح في عالم الخلقة وموضح لغيره، وكل نيّر غيره إنما يستمدّ نوره منه. والله ظاهر بذاته ولم يظهره شيء آخر، وهو ما تُظهر به جميع الأشياء الأخرى «**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**» ومن الخطأ أن تسمي الله بالنور الأعظم كما سماه المانويه (إحدى المذاهب السنية) لأن هذا يعني وجود أنوار كبيرة وصغيرة وإن الله هو أكبرها وأعظمها ولكن نقول «أنه نور» أي أن كل ما سواه ظلمة.

وحينما نقيس الأشياء الأخرى «**باستثناء الله تعالى**» مع بعضها يكون بعضها نوراً وبعضها ليس نوراً فمثلاً العلم نور والعقل نور والإيمان نور والبصر نور وبهذا المعنى يكون الله نور النور لا النور الأعظم أي أنّ كل الأنوار بالنسبة له ظلمة وأنه هو الذي منحها النور

والشاهد على ذلك دعاء فاطمة الزهراء روحي لها الفدا «**يا نور النور يا مدبر الأمور**». وقال الإمام الحسين عليه السلام: «**أيكون لغيرك الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى نحتاج إلى دليل يدّل عليك ومتى بعدت حتى تكون الإشارة هي التي توصل إليك وذلك لأن الظاهر بظهورٍ يكن أظهر من ظهوره وليس شيء من خلقه إلاّ وهو ظهوره**»، ويجوز أن يكون معنى الظاهر في نفسه أنه ظاهر بمعناه أي بما يقصد بأسمائه وصفاته ومعرفته.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

عندما يأتي ذكرهما في القرآن لا يذكران باعتبارهما جزءاً من المخلوقات في العالم بل باعتبارهما كل المخلوقات العلوية والسفلية الموجودة في عالم الغيب والشهادة، كما أن النور في الآية المباركة لا يقصد به النور المادي الحسي فهذا النور واحد من مخلوقات الله والشاهد هو ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[1].

يكون معنى الآية المباركة ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أن الله سبحانه يفيض من نوره بمشيئته المطلقة على السموات والأرض أي الكون كله خلقاً بعد خلق، ولحظة بعد لحظة ولو أمسك الله تعالى فيض نوره لا نعد منّا في أقل من لحظة. كما يفعل ذلك في عالم التكوين (الطبيعة) فإنه يفعل في عالم التشريع (الأحكام) إذ يفيض علينا برسله ليفهم الرسالة به ولو أمسك فيض نور رسالته

(١) سورة الأنعام: آية ١.

عن البشـر فـي حياتهم التشريعية والإجتماعية لساد الظلم والظلام فيكون معنى الآية: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

أي الهادي من فـي السموات والأرض ومنوّرهم أي موجدهم بالنور من النور ومُزينهم بالهادين من الأنبياء والأوصياء والعلماء والمؤمنين ومعطيهم ما ينفعهم والمحسن إليهم والمنعم عليهم وراحمهم ودليلهم إلى مصالحهم ودالهم على ما فيه نجاتهم. وهم الهداة والدعاة إلي الله عـز وجل، والنور المشرق من حضـرة الأزل، والاسم الفتاح الذي أخرج بنوره الوجود من العدم فبهم بدأ وبهم هدى وبهم ختم.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ معنـاه منور السموات، فـالله اسم للذات، والنـور من صفـات الذات، والحضـرة المحمدية صفـة لله وصفوته، صفته فـي عالم النور، وصفوته فـي عالم الظهور.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾:

أي مثـل هداه لمـا سواه أو إيجاده والمراد بالمثَـل بفتح التاء الوصف أو الذكـر أو الأثر أو نفس المضاف إليه أي مثل هو نوره أو الدليل على نوره أو هيكل نوره.

والمراد من النور:

الإيجاد أو الوجود أو الموجود أو هداه أو ظهوره أو نور الإيمان به فـي قلـوب أهل السموات والأرض أو هو القـرآن أو نوره فـي صدور الذين أوتـوا العلـم أو سبحات جلاله الدالة على توحيـده فـي ذاته وصفاته وأفعاله وعبادته وعلى عدله أو أمره الذي قامت به السموات والأرض أو وحيـه أو وجهه الباقي بعد فنـاء كل شيء أو نوره الأدلة الدالة على

توحيـده أو مثل نور من آمن به أو نوره قيّومية صمديته لمن صمد إليه أو هـو محمد ﷺ كما دلّت الأخبار المتكثرة عليه أو رسالته ﷺ قوله تعـالى ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[1] يهـدي به الله من اتبع رضوانـه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلي النور بإذنه أو هو الإمامة قوله تعالى ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] أو العقل الأول وهو الاسم الذي أشرقت به السموات والأرضون أو أنوار العرش الأربعة أو العلم مطلقاً أو في اللوح المحفوظ أو هو الولي عليه السلام قـال الله تعالى ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[3] وغـير ذلك تجد في دعاء الجوشن الكبير في الفقرة ٤٧ تحتوي على صفـات الله تعـالى: «**يا نور النور، يـا منور النور، يا خالـق النور، يا مدبـر النـور، يا مقـدر النور، يا نور كل نور، يا نـوراً قبل كل نور، يا نوراً بعد كل نور، يا نوراً فوق كل نور، يا نوراً ليس كمثله نور**».

وبهـذا تأخذ أنوار الوجـود نورها من نوره وتنتهـي بنوره الطاهر، هكـذا الله سبحانـه ظاهـر فـي نفسـه، مظهر لغـيره، بـل إن النور الخارجي رشحه من نـوره سبحانه الذي غمر الكون وأظهر كل شيء وأوجد كل موجود.

كل هذه التفاسير لمعان النور جوهرها واحد هي نور الهداية بذاته ومصدره القرآن والوحي ووجود الأنبياء، وهو ينهل من أدلة التوحيد، فتكون نتيجة التسليم بحكم الله والتمسك بالتقوى.

---

(١) سورة المائدة: آية ١٥.
(٢) سورة المائدة: آية ١٦.
(٣) سورة الزمر: آية ٦٩.

﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: قيل هي القنديل، وقيل المشكاة: هي الكوّة في الحائط غير النافذة، يوضع عليها الزجاجة ثم يكون المصباح (الزيت والفتيلة) خلف الزجاجة فينبعث نور المصباح من الزجاجة ويقع على حائط الكوه وينعكس منه إلى الزجاجة فيكون نور المصباح ونور الزجاجة ونور الحائط ينعكس بعضها على بعض، فتتراكم وتتشعشع على خلاف ما لو كان المصباح مجرداً وحده، فلا يرى إلا نور واحد، ولا يبعد أن تكون المشكاة عبارة عن جام واسع محيط على الزجاجة التي فيها المصباح الذي يقال له بالفارسية (مردنكَي) وكانت مستعملة سابقاً كانوا يتخذونها ليظهر ضياء المصباح من وراء الزجاجة، والمشكاة في غاية الجلاء والصفاء ويحفظ السراج عن الانطفاء.

نستطيع أن نقول المشكاة محفظة للمصباح من الرياح الشديدة وغالباً ما يثبت في الجدار لتركيز الضوء وسهولة انعكاسه.

جاء في بعض التفاسير أن المقصود من المشكاة هو قلب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أما المصباح فإنه رسالات الله التي أنزلها على ذلك القلب الطاهر.

﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾.

الزجاجة هي التي توضع فوق المصباح لتحفظ شعلته وتنظم جريان الهواء لتزيد من نور شعلته، ويمكننا تأويل الزجاجة بالعقل الذي يستقبل نور الرسالة أوليس هو الرسول الباطني والحجة الباطنة وعنده تصديق ما أنزله الله؟! كما يمكن تأويله بالرجال الصالحين ممن يحفظون رسالات الله.

﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٌ دُرِّيّٞ﴾.

فـي نقائها وتلألئها، فعندما تتلوث هذه الزجاجة فإن النور يخبو، وهكـذا الأمر بالنسبة للعقل عندما يتلـوث بالأهواء، لا يرى الحقيقة بعينـه، ولا يسمعها بأذنه، ولذا فإن مصباح الوحي لا ينفعه إلاّ قليلاً، وإنمـا يؤيد الرسالة من ذكر نفسه وتلألأ عقله، ولم يلهه عن رسالات ربه شيء.

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ﴾.

لأنـه يحتـاج إلى زيت يتقد بـه وشجرة الزيتون دهنهـا أصفى من سائر الدهون وأضوأ لاسيما في السراج، وإذا أردنا أن نؤول الشجرة المباركـة نقول أنها شجرة العلم أو التقوى، إذ إن المعرفة تمد مصباح الوحي بالوقود فيزداد بهاء ونوراً في مشكاة القلب.

﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾.

هـذه الشجرة لا يفيء عليها ظل شـرقٍ ولا غربٍ بل هي على سواء الجبـل تطلع الشمس عليها وتغرب، بل في مـكان تنشر بركاتها على العـالم أجمع دون أن تختص بها أرضـ دون أخرى، ولعل هذه الكلمة تشير إلى الاستقامـة في التقوى حيث إن المتقين لا تميل بهم ضغوط الحياة يميناً أو شمالاً.

﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ﴾.

يكاد زيتها لصفائـه في نفسه وانعكاس نور الزجاجة عليه بمعونة انعكاسـ ما في المشكاة يظهر في نفسـه ويظهر غيره ولو لم تمسسه

نار ينفعل عنها أو الإنسان السوي صاحب العقل النظيف يمتلك علماً نقياً بعيداً عن الأهواء والخرافات، فنفسه الشفافة تنتظر أدنى إشارة لتستوعب الحقائق.

الآية تشير إلى أن التقوى وهي زيت مصابح الوحي الزلال النظيف هي طريق الهدى وسبيل المعرفة فإنها تكاد تضيء الحقائق للبشر ولو لم تمسسه نار الوحي ونوره لذلك قال الله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾.

المشكاة المستنيرة بنور الزجاجة المنيرة بذاتها المستنيرة بالمصباح المنير نور على نور أمّا التأويل فنور الوحي يتقد بنور التقوى والوحي يتألق بنور العقل إلاّ أن التوفيق للهداية لا بُد أن يأتي من الله سبحانه.

جاءت روايات أن هذه الآية تمثيل للإنسان الكامل وليس كل إنسان مؤمن وإنما لخاتم الأنبياء فقط استناداً لآخر الآية قوله: ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

وفسرت على أن المراد من المشكاة هو صدر رسول الله ﷺ وجسمه والمصباح هو نور الإيمان ونور الوحي في قلبه.

﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ إشارة إلى انتقال النور من المصباح إلى الزجاجة (القنديل) والمقصود بالزجاجة هو عليّ عليه السلام أي اقتباس علي عليه السلام لنور الولاية والإيمان من الرسول ﷺ.

﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ أي تلك الزجاجة مثل الكوكب العظيم المضيء الذي يشبه الدر في صفائه ونوره ونقائه.

﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ يشتعل ذلك السراج من دهن شجرة

مباركة ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ يقصد بالشجرة المباركة شجرة الزيتون لأن فيها أنواع لمنافع كثيرة وقد قيل أنها أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان ومنبتها منزل الأنبياء، وقد قيل أنه بارك فيها سبعون نبياً منها إبراهيم عليه السلام فلذلك سميت مباركة.

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ ليست من شجر الشرق ولا من شجر الغرب لأن ما اختص باحدى الجهتين كانا أقل زيتاً وأضعف ضوء لكنها من شجر الشام وهي ما بين الشرق والغرب.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ من شدة صفاء زيتها وقوة ضيائه يكاد هذا الزيت يضيء بنفسه من غير نار أو تصيبه نار ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ من المحتمل أن يكون ضمير (لنوره) عائداً إلى الله، بأن يكون التمثيل إلى (على نور) أي أن الله يهدي إلى نوره الذي ضرب له المثل من يشاء ممن اتبع الحق ولم يعاند.

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يهدي الله لمعرفته ومعرفة معانيه وأبوابه ورسله وأوليائه ومحبيهم من يشاء أو الله هو الذي يهدي من يشاء من عباده للنور الذي أرسله وهو نور الوحي ونور محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسنته الرشيدة ونور أهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

ولعل قال الله تعالى (لنوره) ولم يقل (بنوره) لأنه يهدي الإنسان بنور رسالته لنور رحمته.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

ضرب الله الأمثال للخلق من أنفسهم وبآياته الدالة على توحيده ونبوة

محمد ﷺ وولاية الأئمة عليهم السلام وبها لأوليائه عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[1] وقال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ﴾[2] كما ضرب هنا لنوره نور محمد وأهل بيته عليهم السلام بالمشكاة والزجاجة والزيت والسراج وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[3] وغير ذلك.

عن الإمام الباقر عليه السلام قوله كمشكاة فيها مصباح وهو نور العلم في صدر النبي ﷺ والزجاجة صدر علي عليه السلام، علّمه النبي ﷺ فصار صدره يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يكاد العالم من آل محمد ﷺ يتكلم بالعلم قبل أن يسأل نور على نور إمام مؤيّد بنور العلم والحكمة في أثر إمام من آل محمد ﷺ وذلك من لدن آدم إلى وقت قيام الساعة هم خلفاء الله في أرضه وحججه على خلقه لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم.

وعن أحدهم عليهم السلام ما معناه مثل نوره هو محمد ﷺ كمشكاة هو صدر علي عليه السلام فيها مصباح نور العلم من محمد ﷺ في صدر عليّ عليه السلام المصباح في زجاجة هو الحسن بن علي عليه السلام، الزجاجة هي الحسين عليه السلام كأنها كوكب دري فاطمة عليها السلام تزهر لأهل السماء كما تزهر النجوم لأهل الأرض يوقد من شجرة علي بن

(١) سورة يوسف: آية ١٠٥.
(٢) سورة فصلت: آية ٥٣.
(٣) سورة الذاريات: آية ٢١.

الحسين عليه السلام مباركة محمد بن علي الباقر عليه السلام زيتونة جعفر بن محمد عليه السلام لا شرقية موسى بن جعفر عليه السلام ولا غربية علي بن موسى عليه السلام يكاد زيتها يضيء محمد بن علي الجواد عليه السلام، ولو لم تمسسه نار علي بن محمد الهادي عليه السلام نور على نور الحسن بن علي العسكري عليه السلام يهدي الله لنوره من يشاء القائم المهدي عليه السلام.

وروي القمي عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام في هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قال: بدء بنور نفسه مثل نوره مثل هداه في قلب المؤمن ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ﴾ المشكاة جوف المؤمن والقنديل قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ﴾، قال الشجرة المؤمن ﴿زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ قال على سواء الجبل لا غربية لا شرق لها ولا شرقية لا غرب لها إذا طلعت الشمس طلعت عليها وإذا غربت غربت عليها، ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ﴾ أي يكاد النور الذي جعله الله في قلبه يضيء وإن لم يتكلم، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾ فريضة على فريضة وسُنّة وسنّة ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ قال يهدي الله لفرائضه وسُننه من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس قال فهذا مثل ضربه الله للمؤمن قال فالمؤمن من يتقلّب في خمسة من النور: مدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور وكلامه نور ومصيره يوم القيامة إلى الجنة نور.

هناك أحاديث كثيرة في تفسير هذه الآية الشريفة بالأئمة عليهم السلام مختلفة إلاّ أنها متفقة في معانيها والذي أشرنا إليه فيه كفاية لأولي الألباب في بيان هذه الآية الشريفة.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)﴾ سورة النور: ٣٦-٣٨.

هذه الآية الشريفة مرتبطة بالآية التي سبقتها فما المقصود من كلمة (بيوت)؟

- لها عدة معاني:

١- في قول ابن عباس يقصد به المساجد ويعضده قول النبي ﷺ: «**المساجد بيوت الله في الأرض وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض**» ثم قيل إنها أربع مساجد لم يبنها إلاّ نبي: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ومسجد بيت المقدس بناه سليمان عليه السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا بناهما رسول الله ﷺ.

٢- وقيل هي بيوت الأنبياء ذلك قول النبي ﷺ عندما سُئل بعد قراءة الآية: أيّ بيوت هذه؟ فقال ﷺ: بيوت الأنبياء، فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ (يعني بيت عليّ وفاطمة عليهما السلام)، قال ﷺ: نعم، من أفاضلها. ويعضد هذا القول قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

٣- روي عن أبو حمزة الثمالي قال في السنة التي حج فيها أبو جعفر محمد بن علي (الجواد) ولقيه هشام بن عبدالملك أقبل الناس يتساءلون عليه فقال عِكرمة: من هذا؟ عليه سيماء زهرة العلم لأُحزينه، فلما مثّل بين يديه أرتعدت فرائصه وأسقط في أبي جعفر عليه السلام وقال: يابن رسول الله لقد جلست مجالس كثيرة بين يدي ابن عباس وغيره فما أدركني ما أدركني آنفاً، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويلك يا عبيد أهل الشام إنك بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه. فالبيوت الواردة في القرآن ليس البيوت الطينية وإنما البيوت البشرية.

إذن نستفاد من هذه القضية في باب التوحيد سواء اعتبرنا هذه بيوت طينية أو بشرية فإن القرآن يؤكد إن الله أذن بتكريم هذه البيوت واحترام شأنها، بالنسبة للمساجد التكريم ليس لذات الحجر والتراب الذي بني بواسطته المساجد حتى بيت الله وهي الكعبة إنما التكريم لله ولعبادته، فالمسجد (المعبد) يُحظى بالاحترام لكونه معبداً وقد أذن لنا المعبود باحترامه، ومن باب أولى احترام وتكريم الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام لأنهم ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ فكما أمر بتكريم البيوت الطينية كذلك أمر باحترام البيوت البشرية التي هي معابد للأرواح.

٤- وقد جاء في بعض الروايات عن كلا الفريقين إن المراد من البيوت هم الناس الذين أكثروا العبادة حتى أصبحت أنفسهم مساجد، حينما يصبح فعل الإنسان وحركته وطعامه وشرابه وتفكيره ونومه لله لا يُعد بدنه إلاّ معبداً، قال أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء

كميـل «**يـا رب يـا رب يا رب قـوِّ على خدمتـك جوارحـي واشدد على العزيمة جوانحي، وهب لي الجد في خشيتك والدوام في الاتصال بخدمتك**».

وقـد روي عن أحد العلماء في تفسير هـذه الآية في أحد مجالس الوعـظ والإرشـاد ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[1] إن الظلم ينطبق على كل من يمنع بدنه أن يكون مسجداً لروحه ومعبداً لذكر الله.

إذن مثـل هذا الإنسـان يكون كل بدنه معبداً بـل ومن أكبر المعابد حتى الكعبة لا يمكنها أن تزعم أنها مثل هذا المعبد.

ولكن بماذا رُفعت هذه البيوت؟ إنما بذكر الله.

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ أي فـي تلـك البيوت يتلـى فيها كتابه، وقيل تذكر فيها أسماؤه الحسنى في مقابل بيوت الكفار التي لم يأذن الله أن ترفع ، إذ من المكروه بناء دار الكافر أعلى من دار المسلم -كما قالـوا- وبيوت النيران والمراحيض التـي كره ذكر الله فيها بالصلاة وغيرها. وحيث أن الأرض لله والذكر مرتبط به سبحانه، كان ترفيع البيت وذكر اسمه تعالى بحاجة إلى الأذن.

- لهذه البيوت عدة خصائص هي:

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾ يصلي له فيها بالبكور والعشايا وقال ابن عباس: كل تسبيح في القرآن صلاة، وقيل: المراد بالتسبيح

(١) سورة البقرة: آية ١١٤

تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه، ووصفه بالصفات التي يستحقها لذاته، وأفعاله التي كلها حكمة وصواب، وقيل معنى (الغدو والآصال) هي الصلاة في أوقاتها.

ثم وصف المسبحون بعدة صفات:

- من هم المسبحون الذي تقصدهم هذه الآية؟

١- ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ليس معنى الرجال الجنس مقابل للنساء بل هم أصحاب الهمّة سواء المقصود ذكر أو أنثى، وذكر اسم البيع والتجارة كرمز للانشغال مثل الاشغال بالتدريس أو الخطابة أو الطب أو... فالقرآن لا يأمرنا بترك الأعمال والوظائف والانشغال بذكر الله، إنما يؤكد على عدم الغفلة عن ذكر الله حين ممارسة العمل، فالشيء الوحيد الذي يجب عدم نسيانه هو ذكر الله مثل هذا الإنسان يصبح بدنه مسجده حقاً لأنه يذكر فيه على الدوام إسم الله وتسبيحه وتقديسه بجانب قيامه بعمله بل وكل عمل يؤدي إنما يؤديه امتثالاً لأمر الله، وذكر الله هو الذي يدفعه لأدائه، لذلك جاء المثال بالتجارة لأن التجارة عمل مستمر في التعامل والبيع والشراء، وقد ضرب القرآن هذا المثال بمال الدنيا لأنه أكثر شيء يؤدي إلى غفلة الإنسان، قال أمير المؤمنين عليه السلام «**أكثروا ذكر الله عز وجل إذا دخلتم الأسواق وعند اشتغال الناس فإنه كفارة للذنوب وزيادة في الحسنات ولا تكتبوا في الغافلين**».

٢- ﴿وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ﴾.

أمثال هذه الأمور لا تلهي عن ذكر الله ولا عن الصلاة بل تجدهم

يقيمـوا الصلاة فـي أوقاتهـا ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1]. إذا دخل وقت الصـلاة أدوا إلى اللّه حقّـه فيها وهـذا يدل على أن هـؤلاء الرجال همّهـم ذكر اللّه ولا يقدّمـون عليه شيئاً رغم أنهـم يمارسون نشاطاً اقتصاديـاً فـي الحياة وهـم أعظم أجـراً فممن لا يتجـرّ. روى عن الإمـام جعفر بـن محمد الصـادق عليه السلام قال: ما مـن صلاة يدخل وقتها (الظهر والعصر، المغـرب والعشاء، الصبح) إلاّ وملك ينادي: «**قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها فأطفوها بصلاتكم**».

يقـول السيد ابن طاووس: الإمام عليه السلام يعـرف حالاتنا فمنذ أن تخـرج من البيت في الصباح وحتى الظهـر سترتكب خلافاً يُحذرنا بـأن تحضر الصلاة في أوقاتها لإطفاء النـار التي أوقدتموها، وفي الختـام لا يوجد أحد ليس لديـه إنحراف، لا أقلَّ أن تكون لديه غفلة، لذلك فإن الملك ينادي أن هلموا لمعالجة أدوائكم بالصلاة، فالصلاة حـدٌّ عينـهُ اللّه سبحانه وتعالى وقـد سمعتم الرواية التـي تقول: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما معنـاه: إن الصلوات الخمس أشبه بنهر جارٍ أمام دار أحدكـم يغتسل فيه خمس مرات يوميـاً فهل يبقى هذا الشخص قذراً بعد ذلك؟!

وقـال صلى الله عليه وآله ما معنـاه: قال لي ملـك الموت: منِ حافـظ على أوقات الصلوات الخمس فإنني أكون أعطف عليه من أمِّه.

وأكثر من هذا فقد جاء أن ملك الموت يقول عند موت هذا الشخص فإننـي سألقنه بنفسي. طوبى لمـن كان مُلقنهُ ملك الموت، وهذا أيضاً من بركات الصلاة الدواء الإلهي.

(١) سورة النساء: آية ١٠٣.

ولهذا يجب أن تحافظوا على الصلاة وتمسّكوا بما أوحى به سبحانه ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾[1].

٣- ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾:

يقصد بالزكاة المفروضة سواء كانت زكاة الفطر أو زكاة الغلات والأخماس تجدهم أدّوا إلى الله حقه فيها.

هؤلاء الرجال عندهم ذكر الله والعمل بمرضاته أهم من الانشغال بمال الدنيا خلافاً لكثير من الناس الذين يشتغلون بالدنيا عن الآخرة.

٤- ﴿يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾.

بالرغم على ما هم عليه من الشكر والطاعة يخافون يوم القيامة والعدل الإلي الذي تتقلّب فيه القلوب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك وتتقلّب الأبصار يُمنة ويُسرى من أين تؤتى كتبهم وأين يؤخذ بهم أمِن قِبل اليمين أم من قِبل الشمال؟!

ثم أشارت آخر هذه الآيات إلى الجزاء الواقي لعشاق الحق والحقيقة فقالت: ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ﴾ الله تعالى هو أصل جميع الهداية وأحد الآثار المترتبة على اهتداء الإنسان بنور الهداية الإلهية هي أن عمله يكون له قيمة ولا يكون عمله ذو قيمة إلاّ إذا اقترن مع الإيمان قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فالقرآن لا يعتبر الإيمان وحده كافياً لسعادة الإنسان، ولا العمل وحده كافياً لسعادته بل يؤكد عليهما معاً، ومثال

(١) سورة البقرة: آية ٢٣٨.

على ذلك أن هناك الكثير من قدم خدمات كبرى للبشرية وهم ليسوا مسلمين بل بعضهم لا يؤمن بوجود الله سبحانه مثل الكسندر ليمنج الذي اكتشف البنسلين وكان سبباً في معالجة الكثير من الأمراض الصعبة كذلك العالم الفرنسي لويس باستير المكتشف اللقاح المضاد لمرض الكوليرا وغيرها من الأمراض فكيف يكون جزاءهم من قبل الله تعالى لهم علماً إن المؤمنون يفعلون العمل الصالح طلباً لمجازاة الله إياهم بأحسن ما عملوا ولتفضله عليهم بالزيادة على ما استحقوه بأعمالهم من فضله وكرمه فهل يُعقل من قدم للبشرية خدمات كبرى لا ينال جزاء من الله سبحانه؟! لقول إن الله لا يضيع أجر الإنسان، فهو سبحانه جعل هذا العالم على هيئة مزرعة يحصد الإنسان ما زرعه فإن زرع خيراً حصد خيراً، وإن زرع شوكاً حصد شوكاً وشراً كذلك الحال الناس لهم في مساعيهم غايات شتى جميعهم ينشدون لسعادة البعض، يجهد نفسه لكي ينال مرة جهده في هذه الدنيا ولا شأن له بالله وبالآخرة والبعض يعمل لا لأجل مادة بل للتقرب إلي الله والحصول النتيجة في الآخرة والقرآن يقول: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ ﴾[1] أي نفيض بمددنا علي الذين يبتغون الله والحياة الآخرة كذلك على الذين يريدون نتيجة في هذا العالم ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[2] حسب نية الشخص فمن يريد الدنيا ينال الدنيا ومن يريد الآخرة ينال الدنيا والآخرة لأنه كان تقرباً لله أما

(١) سورة الإسراء: ٢٠.
(٢) سورة الشورى: آية ٢٠.

الآخر يريد السمعة والشهرة والجاه، إذن الإيمان شرط لقبول العمل لأن الإيمان بالحق يضفي على عمل الإنسان قيمة فيستلم على أثر ذلك خير الجزاء، ما هو الجزاء؟

١- ينال السعادة الأبدية الآخروية (الحياة الأبدية).

٢- والقرب إلى الله.

٣- وغفران الذنوب.

٤- النجاة من العذاب حينما يهتدي بنور الله ويعمل لله عند ذلك ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي ينالوا الدنيا والآخرة. ثم يضيف ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ إنّ الذين يعملون لله ينالون ما يشاؤون ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[1] إضافة إلى ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[2] ثم يضيف إلى فضله ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ والرزق لا يقتصر على الطعام والشراب بل يراد به هذا الفضل وهذه الرحمة الإلهية.

(١) سورة الإسراء: آية ١٩.
(٢) سورة ق: آية ٣٥.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ [1] يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠ ﴾ ٣٩-٤٠.

تحدثت الآيات السابقة عن نور الله، نور الإيمان والهداية،وهو لطفٌ من عند الله ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ أما في هذه الآية المباركة تناولت عالم الكفر والجهل والإلحاد المظلم، والكفار الذين اسوّدت قلوبهم ووجودهم ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ خلافاً للمؤمنين الذين أصبحت حياتهم وأفكارهم ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾.

هذه الآية المباركة تتحدث عن الكفار الذين عرضت عليهم الحقيقة لكنهم أبوا بقبولها عناداً وصفهم القرآن بالقول ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾[2].

حقيقة الإسلام هو أن يعلم الإنسان ويسلّم للحقيقة، وملاك الكفر هو أن يعلم ولكن يعارض الحقيقة التي تُعرض عليه مثل الشيطان الذي يعرف أصول الدين الثلاثة (التوحيد -النبوة- المعاد) ولكنه يعارضها والقرآن وصف أعمال الكافرين بمثالين:

(١) البقيعة: بمعنى الأرض الواسعة التي لا ماء ولا نبات فيها، ويطلق ذلك على الصحاري التي يظهر فيها السراب في معظم الأحيان.
(٢) سورة النمل: آية ١٤.

١- كسراب يحسبه الظمآن ماء.

٢- كظلمات في البحر.

المثال الأول: الذي يضربه لأعمال الكفار السيئة القبيحة هو السراب الذي كلما دنا منه الإنسان وجده لا شيء إلاّ انعكاس الشمس على الرمل، فالسراب ظاهره ماء ولكنه في الحقيقة لا شيء.

المثال الثاني: يشبّه القرآن الإنسان بتخبط بين أمواج البحر في ليلة ظلماء لا يقدر حتى على رؤية يده.

وكلا المثالين يسلّط الضوء على جانب من جوانب الموضوع فالمثال الأول ﴿كَسَرَابٍ﴾ للذين يتوهمون أنهم يعملون عملاً صالحاً ثم يظهر لهم في ما بعد أنّه كان سراباً ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ بل وجد جزاء الله بما عمل ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الجميع على أفعالهم في حالة واحدة، عندما سُئل أمير المؤمنين عليه السلام كيف يحاسبهم في حالة واحدة؟!

قال عليه السلام: :كما يرزقهم في حالة واحدة.

والمثال الثاني: الأعمال السيئة التي قام بها الكفار كظلمات في بحر عظيم اللجة لا يرى ساحله نتيجة تراكب أمواجه، واللجى هو البحر الواسع العميق ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ أي يعلو هذا البحر اللُجي موج ومن فوق هذا الموج موج ومن فوق الموج سحاب ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة أعماق البحر من جهة وظلمة الأمواج الهائجة من جهة أخرى، وظلمة الغيوم السوداء من جهة ثالثة، ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض .

إن الكفـار الذين حرموا من نور الإيمان يبتلون بهذه الظلمات وهو أمـرٌ مرعـب تتعطل فيه حواسهـم وتظلم عليهم الدنيـا حتى لا يروا أنفسهـم، وطبيعي أنّ المرءُ في هذه الظلمات في وحدةٍ مطلقة وجهل دائـم، لا يجد طريقـه، ولا رفيق سفره، ولا يملـك وسيلة للنجاة لأنه لم يكتسـب شيئـاً من مصدر النـور، أي ختم الله علـى قلبه بالجهل والضلال.

وقـد روي عن أُبي أنه قال: «**إنّ الكافـر يتقلب في خمس ظلمات: كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى الظلمة وهي النار**».

﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ أي لا يراهـا ولا يقارب رؤيتها فهو نفي للرؤية.

﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ من لم يجعله الله له نوراً في يوم القيامة فما له من نور.

- أما تأويل هذه الآية المباركة:

١- ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ قال الأول والثاني يغشاه موج، من فوقه موج وهم أصحاب الجمل وصفين والنهروان ﴿مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ قال بنو أُمية إذا أخرج يده أمير المؤمنين عليه السلام في ظلماتهم لم يكد يرها أي إذا انطلق بالحكمة لم يقبلها منهـم أحد إلاّ من أقرّ بولايته ثم بإمامته ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ مـن لم يجعـل الله له إماماً في الدنيـا فما له في الآخرة

مـن نورٍ إمام يرشده ويتبعه إلي الجنة. وهل يهتدي من لم يجعل الله له نوراً في الحياة؟! وإماماً يرشده إلي الجنة؟

٢- قـال أبـو عبدالله الصـادق عليه السلام عندمـا سُئل فـي معنى أو كظلمات قال عليه السلام: الأول وصاحبه يغشاه موج الثالث من فوقه موج، مِـن فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض معاوية وفتن بني أمية إذا أخـرج يده المؤمن في ظلمة فتنهم لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نـوراً إماماً من ولـد فاطمة عليها السلام فما له من نور إمـام يوم القيامة يسعى بين يديه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ ٤١-٤٢.

تتناول هذه الآية الشريفة أحد أهم موضوعات القرآن المجيد، ألا وهو التسبيح والحمد عند عالم الوجود، فقد أنبأ طلاب المعرفة بهذه الحكمة العالية في عدة مواضع من القرآن بما مفاده: لا تظن أنك الوحيد الذي يقول: سبحان الله، فقد ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1] و ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2] و ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[3] بحالاته الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل، وذلك لديمومة التسبيح وتواصله، لأن كل عالم الوجود، وبجميع ذرّاته يسبح للذات السرمدية الأبدية لربّ العالمين، وفي مقطع ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الفعل المضارع هنا يدل على الاستمرار والدوام، وأنت أيها المؤمن عندما تقول في ركوعك ثلاث مرات: سبحان ربي العظيم وبحمده، فإن عالم الوجود بأسره يواصل ترديد: سبحان الله إبتداء من الديدان البسيطة وانتهاء بالأفلاك والأجرام السماوية، ويستمر جهاز الكون في حمده تعالى.

- أقسام التسبيح:

للتسبيح أقسام ثلاثة جميعها صحيحة ومقبولة وهي:

(١) سورة الحديد: آية ١.
(٢) سورة التغابن: آية ١.
(٣) سورة الإسراء: اية ٤٤.

١- التسبيح التكويني (لسان حال جميع كائنات عالم الوجود).

٢- التسبيح الملكوتي وهو القولي الملكوتي.

٣- التسبيح القولي الملكي، وهو ما ينطق به البشر من المؤمنين.

القسم الأول يتضمن ما يقوله سائر عالم الوجود بلسان الحال: سبحان الله. والسبحان يعني التنزيه والتطهير من كل عيب ونقص أي إنه لا يوجد في عالم خلق الله تعالى أي نقص، ولم يكن هنا نقصاً، ولن يكون.

والحمد لله تثبت أن كل كمال وكل قدرة وكل حكمة هي من عند الله.

ولنقدم مثالاً على ذلك: انظر إلى وجهك تجده لا يتجاوز شبراً من المساحة، فكم من خط قد أخطته يد القدرة فيه، وأحد تلك الخطوط عينك، هذه العين اللوزية الشكل، كم هي رائعة إنها تنطق بلسان فصيح أن صانعي قد اختطني دونما يرجع إلى آلة الفرجال الهندسية، ودون أن تشبه عيون الآخرين بملياراتهم، إنها عين قد صنعت في صفحة من شبر في شبر، فضلاً لو لم يكن لها شكلها الحالي، وكانت على الفرض مربعة أو مستطيلة فكيف ستبدو آنذاك؟ حتماً ستكون إنساناً خرافياً مرعباً، ولكنه تعالى جعل عينك بصورتها هذه لأجل أن تخرج الأوساخ والرطوبة الزائدة من زاويتها.. أما الأنف فقد جعل له منخرين، وعلّمه بعمود مستقيم، وجعل مجرى فضلات الدماغ تخرج عبر هذين، وتنحدر عنه، فلذا كان موقع المنخرين في أسفل الأنف، وليس في أعلاه هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن منفعته الأساسية

تتجسد في ارتباط واتصال هذين المنخرين بالقصبة الهوائية، وهذا يعني وجود طريقين في الحلق:

أحدهما هو طريق الجهاز الهضمي، ويرتبط من أسفله بالمعدة، والثاني يتصل بالرئتين عبر منفذين في جهاز التنفس، أي إن هناك طريق للتنفس، وطريق لمرور الطعام إلى المعدة في الحلق.

وطريق التنفس له منفذ في داخل الفم، وآخر عن طريق الأنف أيضاً لأن على الإنسان أن يتنفس كل لحظة، فقد أعطاه تعالى منفذاً في الأنف يتنفس من خلاله، في عين الوقت الذي يقوم بتناول طعامه عن طريق فمه. وإذا سألت نفسك لماذا أعطى الإنسان هذين المنفذين الجواب هو إنه في بعض الأحيان ينغلق منفذ الأنف لعارض ما، فجعل له تعالى منفذ الفم احتياطي للتنفس، كذلك الحال فيما لو لم يكن هناك منفذ في الأنف، لوجب على الإنسان أن يخرج ما في فمه من طعام لأجل التنفس.

وهكذا الحال في دماغ الإنسان وأسنانه وحاجبيه الجميلين، أريد بذلك أن أوضح معنى (سبحان الله) فعندما تنظر إلى أي وجه فستجده يقول بلسان حاله: سبحان الله، سبحان الله، لما قد اختطته قدرة الله، فالحاجب يقول: سبحان الله، والدماغ يقول: سبحان الله، وعينك تقول: سبحان الله، ولسانك يقول: سبحان الله، كلها تقول: سبحان الله، نعم هذا وجه الإنسان ذو المساحة الشبر، وكل البشر يتماثلون فيه، هل فيهم من شخصين قد اتحدت معالم وتفاصيل شبههم. طبعاً لا، هذا الاختلاف لأن الحياة بطبيعتها اجتماعية، فلو تشابه الناس مع بعضهم لاختلطت الأوضاع وتشابكت الأمور،

ولنضرب مثلاً على هذا: لو كان هناك من سرق منك مالاً وهرب، وتريد أن تعثر عليه، فمن المؤكد ستلقي القبض على شبيه له وأنه غير الشخص المقصود فتظلمه إذن لو تشابهت صور الناس فيستحيل مع ذلك الحياة ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1].

كذلك الحال في نبرة الصوت وخطوط البنان يتجلى سرح البيان في القدرة الإلهية لا تجد شخصين متطابقان في نبرة الصوت وفي بصمات الأصابع فكل ما في وجهك وسائر أعضاء بدنك تقول: سبحان الله وبحمده.

٢- **أما التسبيح الثاني** هو التسبيح الملكوتي ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[2] إذ الإنسان في عالم الملك وهو عالم الظهور والحس يرى المحسوسات ويدركها، ولكن بدن الإنسان يردد باطنه على الدوام: سبحان الله، فمن كانت لهم حالات معينة من بني البشر يسمعون الأصوات، يرون أن الباب والحائط يقول: سبحان الله، وبلسان فصيح، ولكن بالصورة الملكوتية، فمن لم يجد له سبيلاً إلى عالم الملكوت فلن يستطيع الإحاطة والعلم بذلك. القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام تؤكد على وجود الشعور والإحساس لدى جميع الحيوانات والنباتات، بل وحتى الجمادات، ولكن بالشكل الذي يقول بأن الإحساس لدى النبات أرفع مما هو لدى الجمادات، وأنّ الشعور الحيواني أرفع مما هو عليه في النباتات، وهناك رواية تقول بامتلاك كل حيوان لثلاثة أنواع من العلم:

(١) سورة المؤمنون: آية ١٤.
(٢) سورة الإسراء: آية ٤٤.

١- العلم بالله.

٢- علم الجنس (الذكر والأنثى).

٣- علم التغذية المفيدة.

هذه الأقسام الثلاثة من العلم يحيط بها كل حيوان، ومثال على ذلك: في كتاب حياة الحيوان للدميري، نقل عن علي بن حاتم قوله:

كانت عادتي السابقة في الكوفة أن أتناول الخبز اليابس دائماً، وكان في بيتي عشّاً للنمل، فكنت في أول النهار أرمي في عشها شيئاً من فتاته، فتتناول فتات الخبز تلك، وتحملها.

وفي إحدى الأيام -وكالمعتاد- رميت بفتات الخبز، ولما مررت بها عصراً ألقيت ببصري على ذلك المحل، فشاهدت أن النمل لم تتناول، ولا حتى قطعة واحدة من فتات الخبز ذلك.

وبعد التحقيق أدركت أن هذا اليوم هو يوم عاشوراء الحسين عليه السلام.

- الملكوت المحسوس، والملكوت غير المحسوس:

كل ما هو موجود في الوجود، وتدركه الحواس الخمسة للإنسان له ظاهر وباطن، فيطلق على ظاهره عالم الملك ويقال لباطنه عالم الملكوت، كل شيء من الذرة، وديدان الأرض له باطن.

كل ما لم تدركه عين الإنسان أين هو؟! فلو سألته أين يقع شعورك؟ يجيب عليك: لا أدري أين هو محله. كذلك الحال العقل أين هو مكانه، سوف يجيبك لا أعلم، ما أريد قوله: إن ما لا ترونه بأعينكم أولا تسمعونه بآذانكم، لا تقولوا له: إنه غير موجود، لأن هذه الأذن

الحيوانيــة ليس لها القدرة علــى سماع كافة الأصــوات، لأنها تستطيع إدراك ما كان في حدود قدرتها على سماع الترددات الملائمة، الموجودة في الهواء، وما كان دون أو فوق تلك الحدود محال عليها سماعه.

إذن: الملــك هو الظاهر، أما الملكوت هو الــذي يمثل باطن الأشياء وحقيقة الأشياء، مع أن كائنات الوجود بأسرها تمتلك درجة محدودة من الشعور، تصل في بعضها إلى الشعور والحس الملكي، وفي بعضها الآخــر إلى الحس والشعور الملكوتــي، إذ أن الشعور الملكي الذي يكون في عالم المادة والملك يتباين في زيادته ونقصانه.

فمثلاً شجرة القرع لهــا شعور، فعندما تزهر وهي على مقربة من الجدار تنحي عنــه أو تتنحى أغصانها، وإن شعرت أن أشعة الشمس فــي جانب آخر تحركــت الأغصان باتجــاه أشعة الشمــس، وانحنت لذلك.

أمــا فــي الحيــوان، فيبــدو الشعور أكــثر تجلياً مما هــو عليه في النبات، وبالطبع إن لذلك الشعور الحيواني درجات أيضاً.

فمثلاً النحــل فهو نموذج للحيوانــات ذات الشعور الذي وهبه الله تعــالى للنحل، إذ قد أوحى الله تعالى بالإيحاء التكويني إلى النحل[1] علــى كيفية بناء بيوتهــا، ومع أن حجم النحلة يعادل أنملة واحدة من أصابع يد الإنسان، فلن يستطيع مهندسوا العصر على بناء بيت كبيت النحــل دون الاستعانة بــالآلات والأدوات، مع أن رمــل وحصى وطين تلــك البيوت هو من مادّة النبات، التــي يستخرج منها المواد الشمعية

(١) سورة النحل: آية ٧٠ ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾.

الخاصة ببناء مساكنها حيث تبنى بيتاً على شكل سداسي ذي الزوايا الست المتعادلة دون الاستعانة بآلة الفرجال الهندسية.

أما حول صناعته للعسل، فمن المعلوم أن النحل يقع على الأزهار العطرة ويتناول شيئاً منها لطعامه، ثم يعود إلى مساكنه، وهذه المسافة التي يطويها في ذهابه وإيابه، لا تضل فيها طريقة إلى بيته الواقع بين آلاف البيوت، بل إن كل نحلة تعرف بيتها بدقة.

أما عندما تريد أن تضع العسل في بيتها، فلا زال الإنسان لحد الآن يجهل حقيقة حصول العسل.

يُقال: إن أرسطو، قال: يجب علينا أن نتعرف على كيفية تصنيع العسل من قِبل النحل، خصوصاً، وأنه يدخل في حجرة ضيقة ومظلمة، والحال هذا لا يستطيع أي إنسان أن يرى ما يحصل.

فقال للإسكندر: ضع مرآة كبيرة أمام بيوت النحل، وعندما تسقط صورتها على المرآة نستطيع حينها أن نتفرج على ما يحصل. فسارع غلامه إلى عمل ما طلبه منه، بعد عناء، ثم نصب المرآة أمام بيوت النحل، وعندما عادوا في الغد، لأجل مراقبة الموضوع شاهدا أمراً عجيباً يدلك على ذكاء النحل، إذ لطخ النحل أرجله بالوحل، ثم لطخ صفحة المرآة بذلك بالشكل الذي لا يمكن معه بعد ذلك أن يشاهد المرء صورة في المرآة، معلنين أنه يجب على البشر أن لا يتدخلوا في أعمال النحل.

القرآن الكريم صرّح قصة النبي سليمان عليه السلام والهدهد، عندما كان الهدهد يتحدث مع سليمان في قضية ملكة سبأ (بلقيس)، لا

تظن أنه يتحدث عبر قطعة اللحم المستقرة في طي منقاره، بل كان يتحدث من خلال ملكوته، ولبسط الكلام في ذلك دقق النظر في الحديث أثناء النوم، فكم من مرة قد واجهت أنت بنفسك ذلك في منامك، وكان فمك منطبقاً، ولكنك تتحدث، فلو كان النطق خاصاً باللسان، فيمكنك أن تستنتج بعد انطباق فمك أو روحك ناطقة أيضاً، وهي تمتلك الأذن السامعة كذلك، فالنطق إذن لا ينحصر بقطعة اللحم هذه، إذ أن النفس لها قابلية النطق، وملكوت الإنسان وسائر الحيوانات كل له قابلية النطق أيضاً.

وعن النملة[1] وسليمان شهد القرآن هذا الموضوع، فعندما بدى سليمان على البعد مع عساكره من الجن والإنس في البادية والوادي المليء بالنمل، صرخ كبير النمل فيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[2].

وقد ساقت الريح هذه المقالة إلى أذن سليمان، فقال سليمان: لنذهب قربه، فجاء على مقربة منه، وقال له: يا كبير النمل: هل تعرفني؟

قال: أنت نبي الله.

قال سليمان عليه السلام: وهل تعلم أني لا أمارس الظلم؟

قال: نعم أعرف ذلك.

قال عليه السلام: إذن كيف حذرت النمل؟

(١) رواية عن الإمام الصادق عليه السلام.
(٢) سورة النمل: آية ١٨.

قـال: إني لم أقل للنمل: أن يذهبوا إلى مساكنهم تجنباً للظلم، بل لأن النمـل إذا رؤوك وآلة ملكك وعساكرك، فسينقطعون عن الشكر، إذ ينبغي النظر على الدوام إلى ما هو أدنى وأقل.

فلا تذهـب أنت إلى المحل الذي فيه القصـور والأثاث والحدائق، فـإن ذهبت وشاهـدت كل ذلك فستعد نفسك فاقداً لـكل شيء شيئاً فشيئـاً، وبالتدريـج قال: يا سليمان أتدري لمـاذا سخر الله لك الريح التي تحمل بساط مملكتك؟ فاستغرق سليمان مفكراً، وقال: لا أدري.

قـال: لكـي لا يصيبك الغرور، فاعلـم أن ملكك علـى وجه الريح، فابحـث عن الملك الذي يستنـد إلى الأساس المتين الـذي لا يحيق به الزوال والفناء، وابحث عن الملك الذي لا عزل وراءه، وهذا في الجنة.

فهذا الكلام المليء بالحكمة للنملة، والذي قدمته لسليمان كان من الجنبـة الملكوتية لها، وليس من جنبتها الملكيـة، لأن ملكها الظاهري لا يتعـدى كونها نملة ليس إلاّ. بل كان مـن ملكوتها، وجودها، غيبها، في جبتها الإلهية، فملكوت الأشياء هو كل ذلك من ذكر الله وحمده، ولكـن الملك الإنساني مهم -أي إن الإنسـان بلسانه اللحمي يوضع ما يصرح به الملكوت.

فهـذه هي السعـادة، إذ يقول تعالى في القـرآن: أن سبحوه تعالى بألسنتكـم هذه، واحمـدوه، فإن لم تفعلوا، فإن باطـن جميع الأشياء وباطنكم يسبح بحمد الله[1].

(١) ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ سورة الحديد: آية ١،وسورة الحشر وسورة الصف وغيرها.

وقد روي إن حضرة سليمان عندما كان يمر ببساطة هذا في الجوّ كان هناك مزارع يحمل في يده معولاً ليحفر بئراً، فإذا به يسمع صوت قعقعة بساط سليمان، فرفع رأسه وقال: سبحان الله، إن الله قد أعطى سليمان ملكاً عظيماً، فنقلت الريح حديثه إلى أذن سليمان، فأمر سليمان الريح أن تنزله في ذلك المكان، فهبط البساط، فتوجه بنفسه إلى ذلك المزارع، فأبصر المزارع سليمان يقدم عليه، فاستقبله بالتجليل والاحترام.

فقال له: ما الذي قلته؟

قال: قلت: إن الله أعطى ابن داوود ملكاً عظيماً.

فقال: أقول لك: لو قال المؤمن من خلال إيمانه: سبحان الله مرة واحدة لهو أفضل من ملك ابن داوود بأسره.

بعد أن تحدثنا عن الهدهد والنملة الواردين في القرآن، وما كان في الحيوان، لا يعدو النباتات أيضاً:

قصة حنين الجذع سبب تسميته بالجذع الحنان يعود إلى أن رسول الله ﷺ كان يتكئ على هذا الجذع، ويخطب بالمسلمين بعد الصلاة، بعد ذلك اقترحت إحدى النساء المؤمنات الحاضرات في جموع المسجد على رسول الله ﷺ ما مفاده أنك قد ضعفت، والوقوف على القدم يتعبك، فهل تأذن لولدي النجار أن يصنع لك شيئاً لتجلس عليه؟

فأجابها النبي ﷺ بالقبول، فأوصت المرأة ولدها بعمل ذلك فصنع ولدها منبراً له ثلاث درجات صغيرة، ووضعه في المسجد،

ولما صلى النبي وسلم لصلاته، قام نحو المنبر ماراً من جانب الجذع ذاك، وإذا بصوت تأوه حزين يطلق فجأة من ذلك الجذع اليابس مما أدّى إلى تأثر جميع من حضر المجلس، وكان النبي من ضمن المتأثرين فعاد رسول الله إلى ذلك الجذع واتكأ عليه، ثم قال: هون عليك لقد سألت الله أن يجعلك من أشجار الجنة، ولما سكن الجذع جلس رسول الله على المنبر.

وهذا هو حنين الجذع وتأوهه الذي حصل بفضل الجذبة الملكوتية له، كذلك عندما قبض النبي ﷺ قبضة من الحصى ورآها الناس تسبّح وهي في كفّه، ولم تكن معجزة الرسول ﷺ في استنطاق الحصى بالحمد والتسبيح وإنما تكمن في فتح أذان الناس ليسمعوا تسبيح الحصى لأن الحصى تسبّح على الدوام.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ ٤١-٤٢.

نعود لشرح الآية المباركة، المخاطب هو الرسول ﷺ يقول له: ألم تعلم يا محمد، والمراد به جميع المكلفين، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والتسبيح كما قلنا سابقاً هو التنزيه لله تعالى عما لا يجوز عليه، ولا يليق به أي: ينزهه أهل السموات وأهل الأرض بألسنتهم تسبيح بوعي وإرادة، حتى الطير تسبح لله، وهو تعالى عليم بفعلهم سواء كان التسبيح التكويني أو التسبيح الملكوتي أو القولي الملكي الكل يسبح الله ويحمده.

قال بعض أهل المعرفة خلق الله الخلق ليسبّحوه فنطقهم بالتسبيح له والثناء عليه والسجود له فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ ﴾.. وقال أيضاً: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ ﴾[1].. وخاطب بهاتين الآيتين نبيّه الذي أشهده ذلك واراه فقال: ألم تَرَ ولم يقل ألم تروا فإنّا ما رأيناه فهو لنا إيمان ولمحمد صلى الله عليه وآله عيان فاشهده سجود كل شيء وتواضعه لله وكل من أشهده الله ذلك ورآه دخل تحت هذا الخطاب وهذا تسبيح فطري وسجود ذاتي ينشأ عن تجل تجلّى لهم فأحبّوه فانبعثوا إلى الثناء من غير تكليف بل اقتضاء ذاتي وهذه هي العبادة الذاتية التي أقامهم الله فيها بحكم الاستحقاق الذي يستحقّه، قال: وليس هذا التسبيح بلسان الحال كما يقوله أهل النظر ممن لا كشف له، قال: ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار الكشف فقد سمعنا الأحجار تذكر الله رؤية عين بلسان تسمعه أذاننا منها وتخاطبنا مخاطبة العارفين بحلال الله ممّا ليس يدركه كله إنسان.

عن الصادق عليه السلام: «**ما من طير يُصاد في برّ ولا بحر ولا يصاد شيء من الوحش إلاّ بتضييعه التسبيح**»، وقال عليه السلام: «**ما من طير يصاد إلاّ بتركه التسبيح، وما من مال يصاب إلاّ بترك الزكاة**».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ لله ملكاً في صورة الديك الأملح الأشهب براثنه في الأرضين السابعة وعُرفه تحت العرش له جناحات جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، فأمّا الجناح الذي في المشرق فمن

(١) سورة الحج: آية ١٨.

ثلج وأمّا الجناح الذي في المغرب فمن نار فكلّما حضر وقت الصلاة قام على براثنه ورفع عرفه تحت العرش ثم أمال أحد جناحيه إلى الآخر يصفق بهما كما يصفق الديك في منازلكم فلا الذي في الثلج يطفئ النار ولا الذي في النار يذيب الثلج ثم ينادي بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسله خاتم النبيين وأنّ وصيّه خير الوصيين سبّوح قدوس رب الملائكة والروح، فلا يبقى في الأرض ديك إلاّ أجابه وذلك قوله عز وجل ﴿ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ ﴾.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ أي عالم بأفعالهم فيجازيهم بحسبها.

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

يحتمل وجود رابطة بين هذه الآية وسابقتها، حيث تحدثت الآية السابقة ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ ﴾ في آخر جملة لها عن علم الله بأعمال البشر جميعاً وعلمه بالمسبحين له.

أما هذه الآية فقد أشارت إلى ساحة العدل الإلهي في الآخرة، وأن لله ما في السماوات والأرض، وهو الحاكم والقدير والعادل في مصير الناس وما في الوجود.

كذلك يبدو أن هذه الآية ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ تعليل للآية السابقة ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ ﴾.

ليكون المعنى أنّ جميع الموجودات تسبّح لله وتحمده لأنها منه وإليه، وإلى هذا فإنّ وجودها تسبيح، وصيرورتها تسبيح، وحركتها

تسبيح، أي بما أنّها منه، فهي صائرة إليه، فمفادها هو نفس مفاد الآية الكريمة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1].

- **ملاحظات:**

١- قد أثبتت التجارب والأبحاث الدقيقة للعلماء إن التلاقح أو التلقيح بين نطفة الرجل والمرأة يتم في غاية الشعور والاختيار، وأن عملية الإخصاب ليست عفوية ولا شعورية، وإلاّ كيف تستطيع الخلية الذكرية من الوصول إلى الفضاء المظلم في رحم الأم وتسبق أقرانها في تلقيح البويضة؟! أم كيف تستقبل البويضة الأنثوية بكل حنان وأمومة زوجها المكافح وتفتح له أحضانها ليغرس في أعماقها ثم تفرز لعاباً يحيط بهما فيمنع المهاجمين من الدخول فيتم الإخصاب في جو الوعي والشعور والإدراك؟ لذلك نجد المتولد من زنا يمنع دخوله في الجنة لأنها مكان للطاهرين والمتولد من الزنا كائن ملوث فإذا كان من أصحاب الإيمان والعمل الصالح فإن الله العادل يكافئه ويجعله في الحظائر، لأن هذه الخلية هي التي تحثّ الوالدين على ارتكاب هذا العمل القبيح وجراء ذلك حرمانه من النعيم الأصلي أما الزاني والزانية فإنهما يعاقبان بالجلد والرجم، لذا نفهم الحديث «السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه».

٢- ما المقصود بالصلاة في الآية الشريفة؟

قال بعض المفسرين كالمرحوم الطبرسي في مجمع البيان: إن الصلاة هي الدعاء وبهذا تمارس جميع المخلوقات في الأرض والسماء الدعاء إلى الله بلسان حالها وهي تسأله الرحمة لأنه أرحم الراحمين وأنه سبحانه وتعالى يمنّ عليهم برحمته كُلاً بحسب قابليته.

(١) سورة البقرة: آية ١٥٦.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ ٤٣-٤٥.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ ٤٣.

يخاطب القرآن المجيد النبي ﷺ ثانية ويقول ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾.

كلمة ﴿يُزْجِي ﴾ أي طرده بأسلوب لين، طردٌ لترتيب المخلوقات المتبعثرة هنا وهناك بقصد جمعها، وهذا التعبير يصدق بالنسبة للسحب، حيث ترتفع كل قطعة منه من جانب في البحر ثم تسوقها يد الله وتجمعها فتتراكم بعضها على بعض، ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ أي ترى المطر يخرج من خلال السحاب وهذا يدل على نظام دقيق له مُدبر حكيم وهو الله الذي يحمل الرياح السحب التي تزن ملايين الأطنان، تتحرك بكل خفة وسهولة في طبقات الجو العليا ﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾ فلولا تكاثف السحب لما هبط المطر، ثم إن السحب مؤلف من شحنات كهربائية سالبة وموجبة، ولولا ذلك لما نفع الزرع،

فالبرق الذي يفرز المواد الضرورية لنمو النباتات إنما تؤلفه الأمواج الكهربائية القوية التي يولدها الاحتكاك بين هذه الأمواج ﴿ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا﴾ كي ينزل المطر، فبدون أن يتكثف السحاب لا ينزل المطر، وتكثفه لا يتم إلا عبر قوانين يجريها الله سبحانه فيها.

﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾ وهو المطر حالة تكونه وخروجه، من بين ثنايا السحاب ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ فالسحب في الفضاء كما الجبال في الأرض، من حيث ضخامة كتلتها وتفاوت ارتفاعاتها، ويمكن للإنسان الإطلاع على هذه الحقيقة عندما يطير بالطائرة مسافراً من بلد لآخر فوق الغمام.

ولعل في الآية إشارة إلى حقيقة يذكرها العلماء إن طريقة تكون (البرد) هي أن قطرة من الماء تنزل من السحب، ثم تمر بطبقة باردة جداً فتجمده، ثم تحمله الرياح الشديدة إلى الأعلى من جديد، وتتقلب بين جبال السحب، كلما مرت سحابة حملت قدراً أكبر من الماء، فنزلت فحملتها الرياح -مرة أخرى- إلى الأعلى حتى تثقل وتهبط إلى الأرض وقد تنزل حبات البرد بحجم البيضة.

﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾ فيصيب به بالأذى من يشاء من عباده، وعموم خلقه وربما يكون مُهلكاً أحياناً.

وهذا يدلّ على منتهى قُدرته وعظمته -إذ جعل نفع الإنسان وضرره وموته وحياته جنباً إلى جنب بل مزج بعضها ببعض.

وفي نهاية الآية يشير إلى ظاهرة أخرى من الظواهر السماوية التي هي من آيات التوحيد فيقول سبحانه:

﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ فالسحب المؤلفة في الحقيقة من ذرات الماء عندما تحمل في طيّاتها الشحنات الكهربائية نتيجة تفريغ الشحنات الكهربائية تُومض إيماضاً يُذهل برقها (العيون) والأبصار ويَصُك رعدها السمع من صوته، وربما غمر الكون كله بالهزة.

نجد هذه الظاهرة الطبيعية بشارة خير بنزول رحمة الله (المطر)، وإنذاراً صارماً بعقاب الله الذي لو نزل فإنه لا يبقى ولا يذر ولأفنى الأحياء.

عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث يذكر فيه أنواع الرياح قال: «**ومنها رياح تحبس السحاب بين السماء والأرض ورياح تعصر السّحاب فتمطر بإذن الله ورياح تفرّق السحاب يكاد سنا برقه ضوء برقه يذهب بالأبصار أي أبصار الناظرين إليه من فرط الإضاءة**».

ثم أشارت الآية التالية إلى إحدى معاجز الخلق ودلائل عظمة الله. وهو خلق الليل والنهار بما فيه من خصائص، حيث يقول: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

ظاهرة تعاقب الليل والنهار نتيجة دوران الأرض حول نفسها الدورة الواحدة تستغرق ٢٤ ساعة، أما دوران الأرض حول الشمس تستغرق ٣٦٥ يوم، أي سنة كاملة ينتج عنه الفصول الأربعة.

يقول العلماء: أن توالي الليل والنهار يعدّ من أسباب حدوث الظواهر الجوية، لأنه يؤدي بطبيعة الحال إلى اختلاف ضغط الهواء الذي ينتهي بدوره إلى حدوث حركة الرياح، التي تقود بدورها إلى تغييرات كثيرة أخرى.

ويبدو أنّ سر ذكر القـرآن لهذا الموضوع بعد الحديث عن السحب وهطول الأمطار هو الإشارة إلى تأثير تعاقب الليل والنهار في حدوث التغيـيرات الجوية، فهو تعـالى يقلّب الليل والنهار مـن أجل أن تكون عبرة لأصحاب البصائر النافذة والعقول النيرة، ألم يقل الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

وألم يقل عن الكفار: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾.

وهذا يعني أن من لا يملك الإيمان لا يفهم سر الحياة، كما لا يدرك التحولات والتقلّبات الاجتماعية، ولا يفهم أن الله هو الذي يقلب الليل والنهـار إلا أولو الأبصار، الذين يمتلكون البصر الحقيقي النابع من الإيمـان، وهذا يـدل على أن معرفة الله بدايـة كل معرفة، وأن الكفر بالله انحراف يستدرج الإنسان إلى كل انحراف.

ثـم أشارت آخر الآيات إلى أبرز صورة وأوضح دليل على التوحيد، أي مسألـة الحياة بصورها المختلفة فقالت: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

يبصرنـا الـرب بملكه واقتداره عـبر تذكيرنا بخلقـة الأحياء، ألم يخلق كل شيء من ماء؟

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ﴾ يقابلهـا ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[1]، أي أن أصلهـا جميعـاً من ماء ومع هـذا فلها صور مختلفة

(١) سورة الأنبياء: آية ٣٠.

«فمنهـم من يمشي على بطنه» مثل الزواحف «ومنهم من يمشي على رجلين» مثل الإنسان والطيور، «ومنهم من يمشي على أربع» كالبهائم إلاّ أنّ ليس الخلق محدداً بهذه المخلوقات، فالحياة لها صوراً متعددة بشـكل كبير سواء كانت أحياء بحرية أم حشـرات بأنواعها التي تبلغ آلاف الأنواع لهذا قالت الآية في الختام ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

- ماذا يعني بالماء في الآية؟

١- بعضـ المفسرين يقول: يقصد بالماء النطفة ولكن المشكلة التي تواجه هؤلاء أن الدواب جميعاً لم تخلق من انقسام الخلايا وليس من النطفة.

٢- البعضـ يقول: المقصـود بالماء ظهور أول مخلـوق، وقد ذكرت بعض الأحاديث أن أول ما خلق الله الماء ثم خلق الإنسان من الماء.

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ ٤٦-٥٢.

- سبب النزول:

قيل نزلت الآيات في رجل من المنافقين، كان بينه وبين رجل من اليهود خصومة، فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ، ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشراف (اليهودي) «حتى أن بعض الروايات ذكرت أنّ المنافق قال صراحة: يحتمل أن لا يعدل محمد فينا».

وحكى أنه كان بين علي عليه السلام وعثمان[1] منازعة في أرض اشتراها من علي عليه السلام فخرجت فيها أحجار، وأراد ردّها بالعيب، فلم يأخذها فقال: بيني وبينك رسول الله ﷺ. فقال الحكم بن أبي العاص (وهو من المنافقين): إن حاكمته إلى ابن عمه يحكم له، فلا تحاكمه إليه.

فنزلت الآيات وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام أو قريب منه.

(١) وحسب رواية بين علي عليه السلام والمغيرة بن وائل.

فـي الوقت الـذي أنزل الله الآيـات التي تذكر بآياتـه، فإن البشر بحاجة إلى الهداية المباشرة من قِبل الله برحمة يخص بها من يشاء منهم ليهتدوا إلى الصـراط المستقيم، ذلك أن الهداية نعمة عظيمة وهدف رفيع لا ينالها كل الناس ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إذن فعليك أن تسعى من أجل الحصول على هداية الله بطاعته والتقرب إليه بالأعمال الصالحة.

ثـم استنكـرت الآية وذمَّت مجموعـة من المنافقـين الذين يدّعون الإيمـان في الوقت الـذي خلت فيه قلوبهم من نـور الله، أي واقعهم يخالـف مـا يدعـون ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مـا هذا الإيمان الذي لا يتجاوز حدود ألسنتهم؟ ولا أثر له في أعمالهم؟ ثم تذكر الآية دليلاً واضحـاً على عـدم إيمانهـم ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ ولتأكيـد عبادة هذه المجموعـة للدنيا وفضح شركـم، تُضيـف الآيـة ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ العبارة الأولى تحدثت عن الدعوة إلى الله ورسوله ﷺ أما العبارة التالية أي كلمة ﴿لِيَحْكُمَ﴾ فإنها جاءت مفردة، وهي تشير إلى تحكيم الرسول ﷺ لوحده، وذلك لأنّ تحكيم الرسول ﷺ ليس منفصلاً عن تحكيم الله تعالى، حيث أنّ كلا الحكمين في الحقيقة واحد.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عمـا يدعـون إليـه ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي وإن علموا أن الحق يقع لهم ﴿يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ أي إلى النبي ﷺ ﴿مُذْعِنِينَ﴾ مسرعين طائعين منقادين.

ثم بينت الآية الأخيرة في ثلاث جمل، الجذور الأساسية ودوافع عدم التسليم إزاء تحكيم الرسول ﷺ فقالت أولاً ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ هذه صفة من صفات المنافقين الذين يتظاهرون بالإيمان ولكنهم لا يُسلّمون بحكم الله ورسوله، ولا يستجيبوا له، بسبب انحرافهم قلبياً عن التوحيد.

والجملة الثانية ﴿ أَمِ ارْتَابُوا ﴾ طبيعي أنّ الذي يتردّد في عقيدته، لن يستسلم لها أبداً.

والجملة الثالثة ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ في الوقت الذي يعتبر هذا تناقضاً صريحاً، إذ كيف للذي يؤمن برسالة محمد ﷺ ويعتبر حكمه حكم الله تعالى أن ينسب الظلم إلى الرسول ﷺ؟

هل يمكن أن يظلم الله أحداً؟

أليس الظلم وليد الجهل أو الحاجة أو الكبر؟

إنّ الله تعالى مقدّس عن كل هذه الصفات ﴿بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ إنهم لا يقتنعون بحقهم، وهم يعلمون أن النبي الأكرم ﷺ لا يجحف بحق أحدٍ، ولهذا لا يستسلمون لحكمة.

فمثل هؤلاء المنافقون لا يستحقون لطف الله ورحمته بسبب عنادهم وإصرارهم بمناهجهم المنحرفة، فالمؤمن هو الذي يرضى بحكم الله ورسوله ولا يرتضون قضاء النبي فقط إنما قد سلّموا أنفسهم للرسول ﷺ وإن لحق بهم الضرر ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

هـذه الآية المباركة وصـف الله سبحانه الصادقـين في عقيدتهم وإيمانهـم إزاء حكـم الله ورسولـه إذا طلـب منهـم أن يحكم بينهم الله ورسولـه قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ مـا أجمل هذا التعبير المختصر والمفيد.

وقـد وردت كلمـة ﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر لتحصـر كلام المؤمنين في عبارة ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

أي سمعنا قول النبي ﷺ وأطعنا أمره وإن كان ذلك فيما يكرهونه ويضرّهم ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزون بالثواب والظافرون بالمـراد، نعم، فالفلاح والفوز يكون من نصيـب الذي يسلّم أمره إلى الله ويعتقد بعدله وحكمه في حياته المادية والمعنوية.

ثـم تابعت الآية التالية هذه الحقيقـة بشكل أكثر عموميـة فتقول: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

وذلـك لأن من يمتلكون هذه الصفـات الثلاث (الطاعة، الخشية، التقـوى) يكونون قد استكملوا أسبـاب الإيمان الحقيقي، فيحصلون على الفوز من الله.

إنهـم يطيعون الله ورسوله خشية من عقابه المهين، وعذابه الأليم، ولأن الخشيـة شعـور مؤقت قد يخبو مع الزمن فـي النفس البشرية، فإنهم يدعمونهم بالتقوى، وهي الالتزام الدقيق بالتعاليم الإسلامية صغيرها وكبيرها، والاهتمام البالغ بكل الأوامر الإلهية.

﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾ ٥٣-٥٧.

- سبب النزول:

بعض المنافقين تأثروا جداً على ما هم فيه، بعد نزول الآيات السابقة، والتي وجهت اللوم الشديد إليهم، فجاءوا إلى النبي ﷺ وأقسموا يميناً مغلظة أنّنا نسلّم أمرنا إليك، ولهذا أجابهم القرآن بشكل حاسم: ﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

المعنى أن المنافقين جاءوا إلى النبي ﷺ ليعربوا عن طاعتهم لحكمه وإنهم على استعداد لترك أموالهم وأهلهم والخروج للجهاد، والتضحية في سبيل الله، ولكن بما أنّ المنافقين يتقلبون في مواقفهم بحسب الظروف السائدة في المجتمع، ردّ القرآن بصراحة أنه لا

حاجة إلى اليمين، وإنما لا بُدّ من البرهنة على صدق الإدعاء بالعمل، لأن الله خبير بما تعملون. يعلم هل تصدقون في يمينكم أم تبغون تغيير مواضعكم؟ لهذا أكدت الآية التالية هذا المعنى وتقول للرسول صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي أطيعوا الله فيما أمركم، وأطيعوا الرسول فيما أتاكم به، واحذروا المخالفة.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ على محمد صلى الله عليه وآله ﴿مَا حُمِّلَ﴾ من التبليغ ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من الامتثال ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ إلى الحق ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ التبليغ الواضح لما كلّفتم وقد أدّى وإنّما بقي ما حمّلتم فإن اذيتم فلكم وإن تولّيتم فعليكم.

في كل الأحوال الرسول صلى الله عليه وآله مكلّف بإبلاغ الجميع ما أُمر به، فإن أطاعوه استفادوا، وإن لم يُطيعوه خسروا، وليس على النبي أن يجبر الناس على الهداية وتقبّل دعوته.

عن الإمام الصادق عليه السلام في خطبة في وصف النبي صلى الله عليه وآله قال: «**وأدّى ما حمّل من أثقال النبوة**».

وعن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا معاشر قرّاء القرآن اتقوا الله عز وجل فيما حملكم من كتابه فإنّي مسؤول وإنّكم مسؤولون إنّي مسؤول عن تبليغ الرسالة وأمّا أنتم فتسئلون عمّا حملتم من كتاب الله وسنّتي**».

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ [1] فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ ٥٥.

- سبب النزول:

عندما هاجر الرسول ﷺ والمسلمون إلى المدينة، استقبلهم الأنصار بترحاب ولكن العرب تحالفوا ضدهم، لهذا كان المسلمون يبيتون ليلتهم والسلاح إلى جانبهم لا يفارقهم، إذ كانوا في حالة تأهب تام. وقد شقّ على المسلمين ذلك، حتى تساءل البعض إلى متى يدوم هذا الوضع؟ وهل يأتي زمان نستريح وتطمئنّ أنفسنا ولا نخشى إلا الله؟ فنزلت الآية السابقة تبشرهم بتحقق ما يصبون إليه.

الآيات السابقة تحدثت عن طاعة الله ورسوله والتسليم له، والآية المباركة التي هي موضع البحث بينت نتيجة هذه الطاعة ألا وهي الحكم العالمي الذي وعد الله المؤمنين به، فقالت الآية مؤكدة:

١- ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي أنهم يستخلفون على الحكم في الأرض.

٢- ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ في نشر تعاليم الحقّ بشكل أساسي وتطبيقه في كل مكان.

(١) الاستخلاف: هي القيادة التي يهبها الله لفئة من الناس.

٣- ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ انعدام جميع عوامل الخوف والاضطراب، وينتج من كل هذا أن يُعبد الله بكل حرية، وتُطبق تعاليمه ولا يشرك به، ويتمّ نشر عقيدة التوحيد في كل مكان.

في الصافي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال هم الأئمة عليهم السلام، وفي كتاب البرهان: نزلت هذه الآية في الأئمة عليهم السلام، عن ابن مسعود قال: «وقعت الخلافة من الله عز وجل في القرآن لثلاثة نفر: آدم عليه السلام لقوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] والخليفة الثاني: داود عليه السلام لقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[2] يعني في البيت المقدس، والثالث: عليّ ابن أبي طالب عليه السلام: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: آدم وداود عليهما السلام، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ يعني: الإسلام ﴿الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ الذي رضيته لهم ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ يعني: من أهل مكّة أمناً في المدينة ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ أئمة يوحّدونني ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ يعني: هم العاصون لله ولرسوله.

وفي المجمع المرويّ عن أهل البيت عليهم السلام أنّها في المهديّ من آل محمد عليهم السلام.

وقد روي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه قرأ الآية وقال هم

(١) سورة البقرة: آية ٣٠.
(٢) سورة ص: آية ٢٦.

والله شيعتنا أهل البيت يفعل ذلك بهم على يدي رجل منّا وهو مهديّ هـذه الأمة وهو الذي قال رسول الله ﷺ: «**لـو لم يبق من الدنيا إلاّ يـوم لطـوّل الله ذلـك اليوم حتى يلي رجل من عترتـي اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً**».

إذن فقولـه عليه السلام «**هـم والله شيعتنا يفعل ذلـك بهم**» يعني تبديل الخوف بالأمن إنّما يكون لهم.

فـي كتاب كمـال الديـن وإتمام النعمـة عن الصـادق عليه السلام في قصـة نوح وذكر انتظـار المؤمنين مـن قومه الفرج حتـى أراهم الله الاستخلاف والتمكين قال وكذلك القائم عليه السلام فإنّه تمتد أيام غيبته ليصـرح الحق عن محضه ويصفوا الإيمان من الكدر بارتداد كلّ من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا احسّوا بالاستخلاف والتمكين والأمر المنتشر في عهد القائم عليه السلام.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٥٧﴾ ٥٦-٥٧.

في هذه الآيتان يأمر الله سبحانه وتعالى بإقامة أمور الدين فقال:

١- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ صلاة توثق الصلة بين الخالق والمخلوق، وتقرّب الناس إلى بارئهم، وتمنع عنهم الفحشاء والمنكر.

الصلاة دواء، إذا أقيمت بشرائطها، فإنها تضيء ظلمات القلب وتغسل الخطايا. لرسول الله ﷺ حديث يقول ما معناه: إذا كان أمام بيتكم مياه جارية وغسلتم أنفسكم فيها خمس مرات في اليوم، فهل تبقى أجسامكم قذرة؟ أجابوا: كلا.

قال ﷺ: «**كذلك الصلاة فإن عملها غسل أدران النفس الإنسانية**»، طبعاً إذا تم أداءُ الصلاة بصورة صحيحة فإن القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[1].

وجاء في (أصول الكافي) أنه سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن أفضل الأعمال، فقال عليه السلام ما معناه: بعد معرفة الله سبحانه لا أعرف ما هو أفضل من الصلاة.

٢- ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة التي تدلُّ على علاقة الله بخلقه، وتقلل الفواصل بينهما، وتقوي ارتباطهما العاطفي.

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ادفعوا الزكاة فإن الله سبحانه يعوض بها عن

(١) سورة هود: آية ١١٤.

خطاياكم وهذا يعني بما أنكم لم تعملوا بما حكم الله سبحانه فإنكم تتطهرون ببركة إقامة الصلاة ودفع الزكاة.

سوف أقدم لكم بمناسبة الآية الشريفة هذه الملاحظات التي توضح لنا أهمية الصلاة:

روي عن رسول الله ﷺ: «**قرة عيني الصلاة**»، وروي أن أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة هي الصلاة، فإذا قُبلت قبل ما سواها وإن رُدت ردّ ما سواها.

وقال ﷺ ما معناه: الفرق بين الإيمان والكفر هو الصلاة.

إن من يراعي الصلوات الخمس فإنه محظوظ بالخير لقد تذكرت حديثاً يُبين أهمية الصلاة وتأثيرها:

- الصلاة مؤثرة:

إن من يقومون بتسليم أهل العذاب، الذين يؤخذون إلى جهنم نتيجة ريائهم إلى مالك جهنم يقولون: إن الأمر هو أن لا تحرقوا وجوه وألسنة وأيادي هؤلاء لأنها مواضع الوضوء والسجدة لديهم، فيلتفت إليهم مالك جهنم ويقول: الويل لكم، ماذا فعلتم لتستحقوا النار؟ فيقولون: كنا أصحاب رياء.

وجاء في هذه الرواية أيضاً فيما يخص عدم حرق هذه الأعضاء أن المأمورين بتسليم هؤلاء إلى مالك جهنم يقولون أيضاً:

إن الله تبارك وتعالى يقول: لأن ألسنتهم تلهجُ بذكرنا وأيديهم ترفع إلينا، هذا الإمام الحسين روحي له الفدا في يوم عاشورا مع

أصحابـه لم ينسوا الصلاة عندما قال لـه سعيد بن عبدالله: لم يبق مـن عمرنا شيئاً يا مولاي أملنـا أن نصلي صلاة جماعة معك. فرأي الحسـين عليه السلام أن الوقـت زوال وحان وقت فريضـة الصلاة فصلوا جماعـة بعـد أن بعث من يطلب مهلة لإقامة الصـلاة «**أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة**».

فطوبى لمن حافظ على صلواتـه وأقامها بشرائطها لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قال لي ملك الموت: من حافظ على أوقات الصلوات الخمس فإنني أكون أعطف عليهم من أمِّه.

وأكثر من هذا فقد جاء أن ملك الموت يقول عند موت هذا الشخص فإنني سألقنه بنفسي.

طوبـى لمن كان ملقنُهُ ملك الموت، وهذا أيضـاً من بركاتِ الصلاة الدواء الإلهي.

ولا ننسى إن إقامة الصلاة من علامات المؤمن كما ذكرها القرآن الكـريم ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1] يعنـي إن المؤمـن هو ذلـك الإنسان الـذي يـؤدي الصلاة، فلـو أن شخصاً لم يقم الصـلاة، فلا يصدق عليه إسم مؤمن.

أيصـحّ أن يقول: أنـا عبدالله؟ ولكني لا أؤدي حـق العبودية؟ هذا هراء. فأنا مؤمن بالله وأخاف الله وأخشاه، ولكن أذنب.

كذلـك من علامات المؤمن هو ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2] فإن قلت: إني

(١) سورة المائدة: آية ٥٥.
(٢) سورة البقرة: آية ٣.

مسلـم ومؤمن، ومستعد على أية حال لأية عبـادة بدنية من صلاة أو صيـام أو تـلاوة للقرآن ولكـن لست مستعداً علـى أن أنفق المال، فلا يحـق أن تطلق على نفسك سمة الإيمـان لأن قلبك لم يعرف للإيمان معنى.

فهـل يعقل أن يكـون الإنسان عبـداً لربّه، ولكنـه لا يرغب بتحويل أمانة مولاه إلى خزينة مولاه؟ أليست هذه خيانة؟

إقامـة الصلاة وإيتاء الـزكاة من التشريعات الإلهيـة التي تدخل ضمـن نطاق طاعة الله سبحانـه، لذلك فهما لا يكفيـان دون طاعة الرسـول ﷺ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بـأن تكونـوا حملـة رايـة الحـقّ والعدل، ولعل المراد بالرحمة هنا النصر على الأعداء.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ لا تظنوا أن السلطـات الكافرة والأعداء الأقوياء المعاندين تستطيـع أن تمنـع من تحقق ما وعدكم الله إيـاه، فالله قادر على كل شـيء، ولا يحجب إرادته شـيء، وهم ليسوا فـي هـذه الدنيا بعيدين عن عقـاب الله وإنما ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ فمن الناحية الماديـة لا قوة لهـم تمنع المؤمنين مـن أخذهم حقهم، ومـن الناحية المعنوية فإن مصيرهم إلى النار وبئس المصير، وهذا يعني أن الله قد رفع عنهم دعمه، فلن يجدوا من ينصرهم على المؤمنين ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾[1].

(١) سورة محمد: آية ١١.

تعاليم الإسلام في دخول البيت

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦١ ﴾ ٥٨-٦١.

تتحدث هذه الآيات عن العلاقات الأسرية وضرورة تنظيمها لأنها ترسم حدود الأسرة، ومن بينها ضرورة تنظيم التزاور بحيث تستطيع

الأسـرة أن تبقى آمنة في مأواهـا بعيدة عن العيون الغريبة، فيحرم علـى المملوك والأطفـال دخول الغرف إلاّ بعـد الاستئذان، وذلك في أوقـات الاستراحـة في الليل وعند الظهيرة ومـن قبل صلاة الفجر، وينهى الأطفـال الذين يبلغون الحلم، أن يدخلوا البيوت بلا إستئذان في غير الأوقات الثلاثة.

الحكمة من ذلك هو المحافظة على العفة الإجتماعية.

تقـول الآيـة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ﴾.

هـذه الآية متوجّهـة إلى المؤمنين بالله المقرِّيـن برسوله، يقول الله لهم: مـروا عبيدكم وإماءكم أن يستأذنوا عليكـم إذا أرادوا الدخول إلى مواضع خلوتكم.

عـن الإمـام الصـادق عليه السلام قـال: هي خاصّـة في الرجـال دون النسـاء، قيل: فالنساء يستأذن في هذه الثلاث ساعات؟ قال عليه السلام: لا، ولكن يدخلن ويخرجن.

﴿ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ﴾ من أحراركم، وأراد به الصبي الذي يميّـز بين العـورة وغيرها، وقال الجبائي: الإستئـذان واجب على كل بالـغ في كل حـال، وعلى الأطفال فـي هذه الأوقـات الثلاثة (ثلاث مـرات) أي: فـي ثلاث أوقات مـن ساعات الليل والنهـار ثم فسرها فقال:

١- ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ ذلك أن الإنسان ربما يبيت عرياناً، أو على حال لا يحب أن يراه غيره في تلك الحال.

٢- ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ الظهيرة تعني منتصف النهار وقريب الظهر حيث ينزع الناس عادة الملابس الإضافية، وقد يختلي الزوج بزوجته.

٣- ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ بعد العشاء يريد الشخص أن يخلو مع عائلته وأن «ثلاث عورات لكم» أحوال يجب أن لا يظهر عليها الآخرون، لأنها أوقات الراحة، وكم يرتاح الإنسان نفسياً حين يطمئن بأن لا أحد يدخل عليه إذ يضع عن نفسه الكلفة.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾ وأما بعد هذه الأوقات فلا مؤاخذة عليكم ولا عليهم أي الأطفال والعبيد والإماء أن يدخلوا عليكم دون استئذان.

عن الفضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية قيل: من هم؟ فقال: المملوكون من الرجال والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا يستأذنون عليكم عند هذه الثلاث عورات، من بعد صلاة العشاء وهي العتمة، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن قبل صلاة الفجر.

﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي تأخذ حركة الدخول والزيارات مجراها عليكم بعد المنع والتوقف، وبالطبع إن الدخول بلا استئذان يختص بالمتعلقين بالشخص دون الأجانب، حتى تتزاوروا فيما بينكم ويخدم بعضكم بعضاً.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الله عليم بمصالحكم وحكيم إذ يضع لكم هذه الأحكام الرشيدة.

وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية: «**فلا يلج على أُمه ولا على أُخته ولا على ابنته ولا على من سوَى ذَلكَ إلاَّ بإذنٍ ولا يأْذَنْ لأحَدٍ حَتَّى يُسَلِّمَ فإنَّ السَّلَامَ طاعةُ الرحمنَ**»(١).

في الآيات السابقة نجد الإسلام يحث ويفرض تنظيم الوقت، لأنه حاجة اجتماعية، وضرورة حياتية، إذ لا يمكن للإنسان العمل في أي وقت يريد، أو التبضع متى شاء، أو حتى النوم متى يرغب، بل هناك أوقات محدودة لكل نشاطات الحياة وشؤونها، وبالرغم من أن تنظيم الوقت يبدو لكثير من الناس عملاً ثانوياً، إلاّ إنه أشبه ما يكون بالقناة التي تحافظ على مياه المطر من التشتت لأنه يحافظ على طاقات الإنسان من التشتت ويجمع طاقات الجماهير ليصبها في قناة واحدة.

من هنا نجد تأكيداً في هذه الآيات على ضرورة ملاحظة أوقات الراحة للإنسان، والتي عادة ما تكون قبل صلاة الفجر وعند الظهر وبعد العشاء، بمعنى آخر ضرورة مراعاة أوقات الآخرين وبرامجهم.

وحتى الأطفال يجب عليهم الاستئذان في هذه الفترات لتبقى البيوت محلاً آمناً يستطيع الإنسان الاستراحة فيه متى ما شاء.

لذلك يجد أن يكون هناك وقت للراحة منفصلة عن أوقات العمل، الذي يجد وقتاً كافياً للراحة يستطيع الجد والإبداع عند العمل،

(١) الكافي: ج٥، ص٥٣٠.

فمثـلاً من أوقات الراحة هي القيلولة في الظهر يستطيع الإنسان أن يتحرك نحو العمل من جديد وبروح نشطة.

إذن الحكمة من هذا التشريع هي إبعاد الأطفال عن بعض المظاهر غـير المناسبة والغير محتشمة في غـرف النوم، حيث تثيرهم وتزرع في نفوسهم حب الزنا، أو حتى عداوة أحد الوالدين، مما يتسبب في العقد الجنسية، وما يتبعها من نتائج خطيرة.

حتـى جاء في حديث مأثور عن علـيّ عليه السلام قال: «**نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يُجامع الرجل امرأتهُ والصبيُّ في المهد ينظر إليهما**».

أمـا غير الأطفال والعبيـد فعليهم الإستئـذان، وقد سبق الحديث عـن ذلك في الآيات السابقة، وعلى الأطفال إذا بلغوا سن الرشد أن يتوقفوا عن دخول الغرف إلاّ بإذن.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ في الدخول، ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مـن الأحـرار ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وهـذا التكرار تأكيد على أهمية هذه الأوامـر الإلهيـة، وأنها ذات أثـر عميق في المجتمـع، وإن لم يستطع الإنسـان الإحاطة علمـاً بجميع أبعادها، وآثارهـا الآنية والمستقبلية، لقلـة علمه وضعـف عقله، مما يجعلـه يستهين بها، فـلا يبذل جهداً للالتزام بها وتطبيقها بدقة.

﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾٦٠.

نزلت هذه الآية في العجايز اللاتي يئسن من المحيض والتزويج أن يضعن الثياب.

في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه قرأها فقال: «**الجلباب والخمار إذا كانت المرأة مسنّة**»، وعنه عليه السلام قال: «**الخمار والجلباب، قيل بين يدي من كان؟! قال: بين يدي من كان**».

حيث يجيز الشارع المقدس للمرأة الكبيرة في السن، أن تضع بعض ثيابها مثل جلبابها وخمارها مما يغطي رأسها ما دام لا يرغب أحد في نكاحها، بشرط أن لا تتبرج بإظهار مواضع زينتها، ولكن الأفضل أن تسود المجتمع الإسلامي كله حالة من العفاف والاحتشام.

وتضيف الآية في ختامها ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾.

فالمرأة وإن كبرت وبلغت سن اليأس، فإن الحجاب أكثر هيبة لها، كما إن ذلك يشجع الشابات على أن يتمسكن بالحجاب.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ فلا يجوز لها أن تقول كلاماً تثير به شهوة الرجال، أو تنوي القيام بحركة معينة حراماً، إذ إن الله سميع للقول الظاهر عليم بالنية الباطنة.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾٦١.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ في هذه الآية الشريفة الله سبحانه رفع الحرج عن المؤمنين في الإنبساط بالأكل والشرب، فقال: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ الذي كفّ بصره ﴿ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾ الذي يعرج من رجليه أو أحدهما ﴿ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ ﴾ العليل ﴿حَرَجٌ ﴾ أي إثم. فقد اختلف في تأويله على وجوه المعنى:

١- ليس عليكم في مؤاكلتهم حرج لأنهم كانوا يتحرّجون من ذلك، ويقولون: إن الأعمى لا يبصر فنأكل جيد الطعام دونه، والأعرج لا يتمكن من الجلوس، والمريض يضعف.

٢- إنّ المسلمين كانوا إذا غزوا، خلفوا زمناهم، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم. ويقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، فكان أولئك يتحرجون من ذلك، ويقولون: لا ندخلها وهم غيب.

فنفى الله سبحانه الحرج عن الزمني في أكلهم من بيت أقاربهم، أو من بيت من يدفع إليهم المفتاح إذا خرج للغزو.

٣- ليس على الأعمى والأعرج والمريض ضيق ولا إثم، في ترك الجهاد، والتخلف عنه.

٤- إنّ العمي والعرج والمرضى، كانوا يتنزهون عن مؤاكلة الأصحاء، لأن الناس كانوا يتقذرون منهم، ويكرهون مؤاكلتهم، وكان أهل المدينة لا يخالطهم في طعام أعمى، ولا أعرج، ولا مريض.

٥- إن الزمنى والمرضى، وخصَّ الله سبحانه لهم في الأكل من بيوت من سمّاهم في الآية، وذلك أنّ قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا لم يكن عندهم ما يطعمونهم، ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم، وأمهاتهم، وقراباتهم، فكان أهل الزمانة يتحرجون من أن يطعموا ذلك الطعام، لأنه يطعمهم غير مالكية.

وقال بعض المفسرين: إن الناس كانوا يتحرجون من التعامل مع هذه الطوائف الثلاث في الجاهلية لأنهم كانوا يعتقدون أن الله قد غضب على ما ابتلي بهذه الحالات، فيبعدون عنهم، وجاءت هذه الآية لتبين الحقيقة بأن الله لم يغضب على هؤلاء، بل من الضروري معاشرتهم بالإحسان، جاء في الرواية المأثورة عن الإمام الباقر عليه السلام: «أنّ أهل المدينة قبل أن يُسلمُوا كانوا يعتزلون الأعمى والأعرج والمريض كانوا لا يأكلون معهم وكانت الأنصار فيهم تيّهٌ وتكرُّمٌ، فقالوا: إنّ الأعمى لا يُبصرُ الطعام والأعرج لا يستطيع الزِّحام على الطعام والمريض لا يأكل كما يأكلُ الصحيحُ فعزلوا لهم طعامهم على ناحيةٍ وكانوا يَروْن

أنَّ عليهم في مُؤاكلتهم، فلمّا قدم النبي ﷺ سألوه عن ذلك فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾[1].

ولعلنا نستوحي من السياق أيضاً أن نفي الحرج هنا يعني جواز الأكل، فيكون المفهوم من الآية ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج، ولا على المريض حرج أن يأكل من بيوت الناس، أما أنتم فليس عليكم حرج أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت أقاربكم.

والحكمة في ذلك: أن هؤلاء هم العناصر الضعيفة الذين يعجزون عادة عن كسب رزقهم، فعلى الأصحاء كفالتهم والسماح لهم بالدخول إلى بيوتهم للطعام وبرهم.

﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ﴾.

تذكر هذه الآية بالتفصيل البيوت التي لا حرج على الإنسان في دخولها والأكل منها، بل يشجع عليه، فربما يتحرج الإنسان من الدخول إلى بيوت أقاربه أو معارفه من الأصدقاء، فيرفع النص هذا الحرج حتى تنمو الألفة والمحبة بين الأسر المختلفة لأن الجلوس إلى مائدة الطعام في البيت يفتح القلوب على بعضها، ويمتن العلاقات، وبالتالي يفتح طريق التعاون بين أفراد المجتمع.

(١) تفسير القمي: ج٢، ص١٠٨.

﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي ليس عليكم حرج في أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أي بيوت عيالكم، وأزواجكم وبيت المرأة كبيت الزوج.

وقيل: معناه من بيوت أولادكم، فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء، لأن الأولاد كسبهم وأموالهم كأموالهم، ويدل عليه قول النبي ﷺ: «**أنت ومالك لأبيك**»، وقوله ﷺ: «**إن أطيب ما يأكل المؤمن كسبه، وإنّ ولده من كسبه**».

ثم ذكر بيوت الأقارب بعد الأولاد فقال: ﴿أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ إلى قوله ﴿أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ﴾.

قال علي بن إبراهيم في قول هذه الآيات إنها نزلت لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وآخى بين المسلمين من المهاجرين والأنصار وآخى بين أبي بكر وعمر وبين عثمان وعبدالرحمن بن عوف وبين طلحة والزبير وبين سلمان وأبي ذر وبين المقداد وعمار وترك أمير المؤمنين عليه السلام فاغتم من ذلك غماً شديداً، فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي لم لا تواخي بيني وبين أحد؟ فقال رسول الله ﷺ: والله يا علي ما حَبستك إلا لنفسي أما ترضى أن تكون أخي وأنا أخوك وأنت أخي في الدنيا والآخرة وأنت وصيي ووزيري وخليفتي في أمتي تقضي ديني وتنجز عداتي وتتولى على غسلي ولا يليه غيرك وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فاستبشر أمير المؤمنين بذلك فكان بعد ذلك إذا بعث رسول الله ﷺ أحداً من أصحابه في غزاة أو سرية يدفع الرجل مفتاح بيته إلى أخيه في الدين ويقول له خذ ما شئت وكل ما شئت فكانوا يمتنعون من ذلك حتى ربما فسد

الطعام في البيت فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ الآية[1].

قال الفرّاء: لمّا نزل قوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً﴾[2] ترك الناس مؤاكلة الصغير والكبير ممّن أذن الله تعالى في الأكل معه، فقال تعالى: وليس عليكم في أنفسكم، وفي عيالكم حرج أن تأكلوا منهم ومعهم إلى قوله ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ أي بيوت صديقكم، ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ﴾ أي بيوت عبيدكم وأموالهم، فإذا أعطى المالك مفتاح بيته لأحد، يجوز له تناول الطعام الذي فيه -بالفحوى- لما ينبئ ذلك عن رضى قلبي.

جاء في التاريخ: «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين أصحابه فكان بعد ذلك إذا بعث أحداً من أصحابه في غزاة أو سريّة يدفع الرَّجل مفتاح بيته إلى أخيه في الدين ويقول: خذ ما شئت وكل ما شئت، وكانوا يمتنعون من ذلك حتى رُبّما فسد الطعام في البيت فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ يعني حضر أو لم يحضر إذا ملكتم مفاتحه»[3].

وأعطى الإسلام الصديق الوفي حكم القريب فقال ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**هو والله الرجل يدخل بيت صديقه فيأكل طعامه بغير إذنه**».

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ فبإمكان

(١) تفسير القمي: ج٢، ص١٠٩-١١٠.
(٢) سورة النساء: آية ٢٩.
(٣) تفسير القمي: ج٢، ص١٠٩.

الأسـرة أن تجتمع بأكملها حول مائدة الطعـام أو يحضر أفراد منها فقط كأن يأكل الأخ مع أخيه والصديق مع صديقه.

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ يجب أن تكون القلوب متحابة متآلفة، ومجندة في جيش واحد، والسـلام هو رمز تآلف القلوب، وعندما يسلم المرء علـى أخيه، فإنـه يربط نفسه معـه برابطة المحبة ويتعهـد بأن يكون مسالماً له في حضوره وغيابه.

لذلك يؤكد القرآن قائلاً: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي أنكم تشكلون نفساً واحـدة، ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فحينما يقـول الإنسان لأخيه السـلام عليكم يقـول الله أيضـاً السلام عليـك أيهـا المجتمع الذي يتسـالم أفراده ويتبادل أبنـاؤه السلام، إني سـوف أمنحكم السلام تحيـة ﴿مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ وهذا السلام يسبـب البركة أي النمو الاجتماعـي والمعنـوي، الـذي يختلف عـن النمو المـادي الفاسد لدى المترفين أو الحكام الطغاة، بل هو تكامل طيب ومستقبله عظيم.

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**إذا دخل الرّجل منكم بيته فإن كان فيه أحد يسلم عليهم وإن لم يكن فيه أحد فليقل السلام علينا من عند ربّنا يقول الله تحيّة من عند الله مباركة طيبة**».

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

فكلما كانت الأحكام القرآنية حساسة وعميقة، كلما وجدنا بعدها مباشـرة مثـل هذه الكلمات: لعلكـم تعقلون، لعلكـم تتفكرون لحاجة الأمر إلى التعقل والتفكر حتـى يعرف المؤمنون أهميته، وأنه لا يمكن فهم ذلك إلاّ إذا استشار الإنسان عقله، وقدح زناد أفكاره.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ۖ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ ٦٢-٦٤.

- سبب النزول:

جاء في التاريخ إن هذه الآية: «نزلت في قوم كانوا إذا جمعهم رسول الله ﷺ لأمر من الأمور، في بعث يبعثهُ أو حرب قد حضرت يتفرّقون بغير إذنه، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك.

وجاء في نص آخر إن الآية: نزلت في حنظلة بن أبي عامر وذلك أنهُ تزوّج في الليلة التي كان في صُبحها حربُ أحد فاستأذن رسول الله ﷺ أن يُقيم عند أهله فأنزل الله هذه الآية: ﴿ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ فأقامَ عِنْدَ أهله ثم أصبح وهو جُنُبٌ فحضر القتال فاستشهد.

فقال رسول الله ﷺ: رأيتُ الملائكة تغسلُ حنظلة بماء المُزن في صِحافِ فِضّةٍ بين السماء والأرض، فكان يُسمَّى غسيل الملائكة.

الآيـات السابقة تحدثت عن كيفية المعاشرة مع الأقرباء والمسلمين أما هذه الآية بيّن سبحانه وتعالى كيفية المعاشرة مع النبي ﷺ القائد وقـد أكدت التزام الوقـار أمامـه، وطاعته وعدم تـرك الجماعة إلاّ بإذنه، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

الإسـلام يريد لمجتمعه أن يكون مجتمعاً متكافلاً متكاملاً موحداً، والقيـادة هي الرابـط الاجتماعي الذي يعصم المجتمـع من الانهيار والتشتـت، وهنـا تكمن أهمية الوحدة وعدم شـق عصاها، فلا يجوز للأفراد أن يرسمون لأنفسهم خططاً يفرضونها على المجتمع، شاءت القيادة أم أبت فهؤلاء لا يمكن أن يكونوا منتمين إلى المجتمع، وهؤلاء هـم المنافقون في منطق القرآن الحكيم، لذلك نجد التعبير القرآني يقول ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ للتأكيد على أن هؤلاء وحدهم الذين ينتمون إلى مجتمع الإيمان.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فلا يشكل الإيمان بالله وحـده قيمة حقيقية ما لم يكن مقترناً بالإيمـان بالرسول وما يترتب على ذلك من تلقي الأوامر والتعليمات والتشريعات الإلهية منه، وهذا ما يميز المؤمن الحقيقي عن المؤمن الظاهري.

إذن يقـول الله تعالى: ليس المؤمنون على الحقيقة إلاّ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أي صدَّقوا بتوحيده وعدله، وأقرُّوا بصدق رسوله وإذا كانوا مع رسوله ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ وهو الذي يقضي الاجتماع عليه والتعاون فيه مـن حضـور حرب أو مشورة في أمر، أو في صـلاة جمعة، وما أشبه ذلك، لم ينصرفوا عن رسوله أو عن ذلك الأمر، إلاّ بعد أن يأذن لهم

الرسـول في الإنصراف متى طلبوا الإذن من قِبله، والاستئذان طلب الإذن من الغير.

ثـم قـال تعالى لنبيّـه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ يـا محمد، هم الذيـن يصدّقون بالله ورسوله على الحقيقـة، دون الذين ينصرفون بلا استئذان، ثم قال لنبيّه ﷺ أيضاً: متى استأذنوك هؤلاء المؤمنون أن يذهبوا لبعض مهمَّاتهم وحاجاتهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ فخيّره بين أن يأذن وألاّ يأذن، وهكذا حكم الإمام.

نعم له أن يستأذن القيادة، فإذا أذنت له فليذهب وإلاّ فلا، والقيادة بدورهـا تستطيع أن تأذن لمن شـاءت إذا عرفت الكفاية في الباقين، ومع ذلـك تستغفر القيادة له، لأن استئذانـه في مثل هذا الوقت نوع من الذنب، إذ هو هروب من المسؤولية الاجتماعية.

لذلك ينبغي للرسـول الاستغفار لهم حتى يغفر الله لهم من جهة، وحتى يكون ذلك إشعاراً للآخرين بأن لا يطلبوا أذناً مماثلاً، وبالتالي ينفضـ الناس شيئاً فشيئاً ويبقى الرسول وحيداً في الساحة، ثم أمر سبحانـه جميع المكلفين فقـال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ لهـذا المقطع من الآية وجهان: أحدهما ظاهر والآخر باطن.

أمـا الظاهر فهـو: أن لا يسمي الإنسان رسوله باسمه الخاص، بل بكنيتـه، أي لا تقولوا له عند دعائـه: يا محمد، أو يا ابن عبدالله ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله في لين وتواضع وخفض صوت.

وأمـا الوجه الباطن فهـو: ضرورة تهيؤ المسلم نفسياً لتقبل قيادة

الرسول ﷺ وكل من جلس مجلسه وحكم باسمه، ولا يقول هذا إنسان وأنا إنسان، بلى إنه بشر، ولكنه يمتلك صفة اعتبارية أنت لا تملكها، هي جلوسه مجلس الرسول، لذلك قال كثير من فقهائنا: «إذا حكم ولي الأمر المجتهد الجامع للشرائط بحكم ما، وجب على الناس -سواء منهم المقلدون لهذا المجتهد أو غيرهم- اتباع حكمه، بل وحتى على المجتهدين أن يتبعوه في حكمه، لأنه حينما يحكم فإنه يحكم باسم منصبه، وبالتالي لله سبحانه وتعالى، وقد روى عمر بن حنظلة عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**من كان منك ممَّن قد روى حديثنا وعرف حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنِّي قد جعلتُهُ عليكم حاكماً فإذا حكم بحُكم ولم يقبلهُ منه فإنّما بحكم الله استخفَّ وعلينا رَدَّ والرَّادُّ علينا كالرّادّ على الله وهو على حدِّ الشرك بالله**».

عن الإمام الصادق عليه السلام قالت فاطمة عليها السلام لما نزلت هذه الآية هِبتُ رسول الله ﷺ أن أقول له يا أبة فكنت أقول يا رسول الله فأعرض عنّي مرة أو اثنتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليّ فقال: يا فاطمة إنّها لم تنزل فيك ولا في أهلك ولا في نسلك أنت منّي وأنا منك إنّما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش أصحاب البذخ والكبر، قولي: يا أبة فإنّها أحيى للقلب وارضى للربّ.

ثم تضيف الآية ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ هو أن يلوذ بغيره فيهرب، وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة خاصة عندما يوجه الدعوة للجهاد أو

لأمر مهم آخر، فيلوذون ببعض أصحابه، فيخرجون من المسجد في إستتار من غير استئذان.

ثم حذَّرهم من مخالفة رسوله بقوله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ وإنّما دخلت ﴿عَنْ﴾ في قوله ﴿عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ لأنّ المعنى يعرضون عن أمره، وفي ذلك دلالة على أنّ أوامر النبي ﷺ على الإيجاب، لأنّها لو لم تكن كذلك لما حذّر من مخالفته، وليس المخالف هو أن يفعل خلاف ما أمره فقط، لأنّ ذلك ضرب من المخالفة، وقد يكون مخالفاً بألاّ يفعل ما أمره به، ولو كان الأمر على الندب لجاز تركه، وفعل خلافه.

وقوله ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي فليحذروا من أن تصيبهم فتنة: أي بليّة تظهر ما في قلوبهم من النفاق، والفتنة شدّة في الدين تخرج ما في الضمير، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة جزاء على خلافهم الرسول، ويجوز أن يكون المراد: أن تصيبهم عقوبة في الدنيا أو يصيبهم عذاب مؤلم في الآخرة، وقيل: معناه ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي قبل أن يصيبهم عذاب في الآخرة.

جاء في حديث مأثور عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام: «**يُسلّط عليهم سُلطاناً جائراً أو عذاباً أليماً في الآخرة**». ثم عظم سبحانه نفسه بأن قال: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ أنّ له ملك ما في السموات والأرض والتصرف في جميع ذلك، ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه، ولا يجوز مخالفة أمر رسوله، ولا يخالف أمره، لأنّ الهاء في قوله ﴿عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ يحتمل

أن تكـون راجعة إلى الرسول ويحتمل أن تكون راجعة إلى الله، ثم بيّن أنّه ﴿يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من الإيمان والنفاق، لا يخفى عليه شيء من أحوالكم لا سراً ولا علانية.

وقولـه: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي يـوم يـردُّون إليـه يعنـي يوم القيامة الذي لا يملك فيه أحد شيئاً سواه.

وقولـه ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ أي يعلّمهـم جميـع مـا عملـوه مـن الطاعـات والمعاصي ويجازيهم عليها كلاً علـى قدر عمله من الثواب والعقاب.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفـى عليـه شيء مـن ذلك الذي عملوه سراً وجهراً.

المسلـم هو ذلك الإنسان الذي يعتقد أن علم الله محيط بكل شيء ويعلم أن الله مطلع على ما تنبس به الشفتان أن الله عالم، أتدري كم ستكون أعمالك صائبة، فقد جاء في تفسير النيسابوري هذه القصة التي ينقلها عن الراوي:

إن غلاماً حبشياً -مـن الحبشة كانوا يؤخذون من هناك ويجلبون للبيع كرقيق- بعد فترة من الصحبة مع المسلمين جاء إلى رسول الله ﷺ وأعلن إسلامه شاهداً الشهادتين بلسانه ثم أعقبها بـ«**أن الساعة آتيـة لا ريـب فيهـا**» -هذا هو الإسلام الإقـرار بالشهادتين والإيمان بالقيامـة- بعد ذلك ذهب إلى بعض الأصحـاب ليتعلم مسائل دينه، بعدهـا عاد إلى رسول الله ﷺ -عجبي لهذا الغلام الأمي- فقال: يا

محمـد، هـل أنّ ربّي عالم أم لا؟ فقـال ﷺ: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾[1] فتأمل لحظة ثم قال: فعندما كنت أرتكب المعاصي كان يرى معاصيّ؟ قـال ﷺ: بلـى كان يـرى معاصيك، فجـأة صـاح: وافضيحتاه ووقع مغشيّاً وفارق الدنيا.

أخي القارئ: إذا الإنسان آمن بالله العالم بكل شيء وآمن برسوله ﷺ أيضـاً وسلّم لحكم الله ورسلـه واتقى، سيهبه الله نوراً ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾[2] يمشـي فـي الدنيـا علـى هدى هـذا النور، ويقتحـم ظلمة الجهل، فلا يصبح بعدها غافلاً أو جاهلاً، بل سيكون ذا لب مستنير، وعقل مضيء، بل سيعمه نور الهداية والولاية، وعندها يدرك ما يريد أن يفعله.

اللهـم صـلِّ على محمـد وآل محمد واجعل في قلبـي نوراً، ومن بين يديّ نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، ومن فوقي نوراً ومـن تحتـي نـوراً، وأعظـم لي النور، واجعـل لي نوراً أمشـي به فـي الناس، ولا تحرمني نورك يوم القيامة.

والحمدلله رب العالمين وصلى الله على محمد وآل محمد

الأمَة الفقيرة المقرّة بالعجز
والتقصير المحتاجة إلى رحمة ربّها
وإلى دعائكم

زمزم منصور القطان

(١) سورة طه: آية ٧.
(٢) سورة الحديد: آية ٢٨.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
- المقدمة	١٥
- ما معنى النور؟	١٧
- لماذا سُميت هذه السورة بالنور؟	١٩
- محتوى سورة النور	٢٣
- فضل سورة النور	٢٥
- الاستعاذة من الشيطان الرجيم	٢٧
- البسملة	٣١
- أنهار البسملة	٥٧
- شرح سورة النور	٦١
- حدّ الزانية والزاني (الآيات ١-٣)	٦٣
- فرض حدّ القاذف بالزنا وتشريع حكم اللعان بين الزوجين (الآيات ٤-١٠)	٧١
- قضية الإفك وإشاعتها في المجتمع (الآيات ١١-١٨)	٧٩
- إشاعة الفاحشة من عمل الشيطان (الآيات ١٩-٢١)	٨٧
- الإسلام يدعو إلى العفو والصفح (آية ٢٢)	٩٣
- قذف المحصنات من الكبائر (الآيات ٢٣-٢٦)	٩٧
- كيفية الدخول إلى بيوت الناس (الآيات ٢٧-٢٩)	١٠٥
- يأمر الإسلام المؤمنين بغض البصر وحفظ الفرج (الآيات ٣٠-٣١)	١١٣

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
- تعاليم إسلامية	١٢١
- الزواج اليسير هو أفضل الطرق لمكافحة الفحشاء والزنا (الآيات ٣٢-٣٤)	١٣٣
- الأئمة عليهم السلام هم النور (آية ٣٥)	١٤١
- بيوت أذن الله أن ترفع فيها اسمه (الآيات ٣٦-٣٨)	١٥١
- عالم الكفر والجهل والإلحاد المظلم (الآيات ٣٩-٤٠)	١٥٩
- التسبيح والحمد عند عالم الوجود (الآيات ٤١-٤٢)	١٦٣
- معاجز خلق الله ودلائل عظمته (الآيات ٤٣-٤٥)	١٧٧
- التسليم لحكم الله والرسول والرضا بالحق (الآيات ٤٦-٥٢)	١٨٣
- وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً (الآيات ٥٣-٥٧)	١٨٧
- تعاليم الإسلام في دخول البيت (الآيات ٥٨-٦١)	١٩٧
- علاقة الأمة المؤمنة مع النبي القائد (الآيات ٦٢-٦٤)	٢١١

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أصول الكافي للكليني - محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي.

٣- بحار الأنوار - العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي.

٤- تفسير البرهان - السيد هاشم سليمان الحسيني.

٥- تفسير القمي - لابن الحسن علي إبراهيم القمي.

٦- تفسير الميزان - السيد محمد حسين الطباطبائي.

٧- تفسير الثقلين - الميرزا عبدالرسول الحائري الأحقاقي.

٨- تفسير الأمثل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

٩- تفسير روح البيان - الشيخ إسماعيل حقي البروسوي.

١٠- تفسير الكاشف - الشيخ محمد جواد مغنية.

١١- تفسير الصافي - الفيض الكاشاني.

١٢- تفسير العسكري - للإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

١٣- تفسير نور الثقلين - للشيخ عبدعلي بن جمعة الحويزي.

١٤- عين الحياة - العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي.

١٥- من لا يحضره الفقيه - للشيخ ابن جعفر الصدوق.

١٦- مجمع البيان - للشيخ الطبرسي.

١٧- رسائل الحكمة - الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي.

١٨- مرآة الكمال - للشيخ عبدالله المامقاني.

١٩- الاختصاص - للشيخ المفيد.

٢٠- تقريب القرآن إلى الأذهان - للسيد محمد الشيرازي.
٢١- جامع السعادات - المولى محمد مهدي النراقي.
٢٢- من هدى القرآن - السيد محمد تقي المدرسي.
٢٣- الدار الآخرة - السيد عبدالحسين دستغيب.
٢٤- تفسير سورة النور - للشيخ مرتضى مطهري.
٢٥- معارف من القرآن - السيد عبدالحسين دستغيب.
٢٦- أصل الشيعة وأصولها - محمد الحسين آل كاشف الغطاء.
٢٧- معاني الأخبار - الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن بابويه القمي.
٢٨- علل الشرائع - الشيخ الصدوق.
٢٩- كشكول الإحسائي - الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي.
٣٠- كمال الدين وتمام النعمة - أبي جعفر محمد بن بابويه القمي.
٣١- اليتيمة والدرة الثمينة - السيد هاشم البحراني.
٣٢- أسباب النزول - الشيخ ابن الحسن علي بن أحمد النيسابوري.
٣٣- الكلمات المحكمات - الميرزا علي الحائري الأحقاقي.
٣٤- الحجاب سعادة لا شقاء - محمد إبراهيم الموحّد.
٣٥- تفسير القرآن الكريم - السيد عبدالله شبر.
٣٦ - حياة الحيوان - للدميري.
٣٧- التبيان في تفسير القرآن - شيخ الطائفة الطوسي.
٣٨- عمدة النظر في بيان عصمة الأئمة الاثني عشر- السيد هاشم البحراني.

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م